الأصول التاريخية لبلاد رفيدة وسكانها

(في جنوب المملكة العربية السعودية، بمنطقة عسير)

محمد بن أحمد معبر

مسارات المعرفة للنشر
بيروت

ثالثاً: صفحات من تاريخ وجغرافية محافظة أحد رفيدة . (قديماً وحديثاً)
بقلم أ. محمد بن أحمد بن معبِّر........

أولاً: المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فقد طالت الصُّحْبَة مع مدينة جُرَش وأحوازها وسكانها منذ سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، وبما أن جُرَش تمثّل حاضرة قبيلة عَنْز بن وائل، وتسكنها بعض الفروع المتفرّعة من (رُفَيْدة) وهي أحد الفروع الثلاثة لعَنْز (عسير، أراشة، رُفَيْدَة) فقد آثرت أن يكون لقبيلة رُفَيْدة دراسة تحدّد مسارها التاريخي منذ العصر الجاهلي حتى الآن (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) .

ولا أخفي انتمائي ونسبي في قبيلة رُفَيْدَة، وهو مما أعتزّ به، وليس لهذا الانتماء أي أثر في هذه الدراسة، فقد لَزِمْتُ الحيْدَة، ونظرت بعين الباحث عن الحقيقة المجردة من الأهواء . أما أهمّ ما دفعني إلى هذا البحث، فهو ما جَرت به بعض الأقلام عن أصول قبيلة (رُفيدة) حتى تنازعتها الأقوال ؛ وكثُرت الاختلافات، فهذا ينسبها إلى قبيلة كذا، وآخر يذهب بها إلى قبيلة أخرى، وثالث يزعم بانقراضها وهجرتها عن مكانها، ورابع يرى بذوبانها في غيرها إلى آخر ما هنالك من المزاعم والتحريفات المقصودة وغير المقصودة .

وليس هنا مجال مناقشة تلك الأقوال، إذْ ينصبّ اهتمامي وجهدي إلى تقرير الأصول التاريخية لبلاد رُفَيْدَة وسكّانها، فهذا أدْعَى إلى اجتماع الفكر، وتوجيه القلم إلى الحقائق التاريخية، ورسم المسار بعيداً عن بُنَيّات الطريق.

ولا أدّعي – مع ذلك – أنّ هذه الدراسة بلغت الغاية في الصّحّة والدّقّة، فلا بُدّ لعمل كهذا من النّقْص والخطأ، وهو مما لم أتقصّده، ولا لَوَيْت أعناق النصوص من أجل هذا القول أو ذاك . وأعود بكم إلى الدراسة ومحاورها الرئيسية الأربعة، وهي كما يلي: أولاً: جغرافية بلاد رُفَيْدَة . ثانيا: المسار التاريخي لبلاد رُفَيْدة وسُكّانها . ثالثا: الحياة الدينية في بلاد رُفَيْدة قبل الإسلام . رابعا: الحياة السياسية في بلاد رُفَيْدة .

وقد بذلت أقصى ما أستطيعه من جهد في إعطاء صورة واضحة المعالم عن بلاد رُفَيْدة وسُكّانها منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، مع الحرص على عدم التَّزَيّد والمبالغة في مكانة القبيلة، أو الادّعاء بتميزها عن غيرها من قبائل العرب، فهي على كل حال تسير فيما جرت عليه القبائل في الحياة اليومية، أو في الأعراف والنُّظم . وأسجل هنا الشكر والعرْفان لمن آزروا هذا العمل حتى تم إنجازه، وهم :(١) أ.د. غيثان بن علي جُرَيس . (الذي أثار همَّتي لكتابة هذا الموضوع) . (٢) الشيخ تركي بن سعيد بن هَيّف (شيخ جارمة وخَطَّاب) . (٣) الأستاذ سعيد بن عبد الله بَهْلول . (٤) الأستاذ أحمد بن علي مَطوَان . (ولا سيما فيما يخص قراءة الموقعين الجيني والجغرافي لقبيلة عَنْز بن وائل) .وأسأل الله تعالى السّداد والتوفيق في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم، هو ولي ذلك والقادر عليه .

ثانيا: جغرافية بلاد رُفَيْدة

أثرت تقسيم هذا العنصر إلى مبحثين، وهما: بلاد قبيلة رُفَيْدة، ومحافظة أَحَدُ رُفَيْدة . وذلك بسبب اختلاف بلاد رُفَيْدَة بشكل عام عن محافظة أحد رُفَيْدة، فهناك بعض القبائل الرُّفيدية أصبحت مواقعها خارج النِّطاق الإداري للمحافظة، فمنها من يسكن في نطاق مركز تَنْدَحَة بمحافظة خميس مشيط، ومنها ما هو في نطاق مركز الشَّعف التابع – مباشرة – للعاصمة الإدارية لمنطقة عسير مدينة أبها، ومنها ما هو في نطاق محافظة سراة عبيدة .

١ـ بلاد قبيلة رُفَيْدة

تقع بلاد قبيلة رُفَيْدة – أصلاً – في نطاق سراة عَنْز بن وائل، الواقعة في منطقة عسير، وتَتَسَاوق فروع عَنْز من الشمال باتجاه الجنوب، فالجنوب الشرقي، وهي على هذا النَّسق : عَسير، فأَرَاشة، فرُفَيْدة . وتقع سراة (عَنْز بن وائل) بين سراة جَنْب (سراة عبيدة) جَنوباً، و سراة الحَجْر شمالاً، وبهذا فإن (سراة عَنْز) لا تمثل ما يعرف اليوم بمنطقة عسير، فسراة عَنْز جزء من منطقة عسير .

ويمكن تحديد سراة عَنْز بما يلي : (١) من الشمال: حدود قبيلة بللحمر، وهي من قبائل رجال الحَجْر (سراة الحجر) . (٢) ومن الجنوب : حدود قبيلة عبيدة، وهي من

أجزاء (سراة جَنْب) . (٣) ومن الشرق : بلاد شهران، وبلاد قبيلة سراة عبيدة . (٤) ومن الغرب : منحدرات جبال السراة ، وفي الجنوب، والجنوب الشرقي من سراة عَنْز تقع بلاد قبيلة رُفيدة، وفي هذا النطاق تقع محافظة أحد رُفَيْدة، وتقطن أغلب قبائل رُفَيْدة في النّطاق الإداري للمحافظة، وهي قبائل : (آل الجَحَل، وآل الشّوَاط، وجارمة، وقيس، وخَطّاب، وإلحاف، وذُعَيّ، وبعض آل مستنير) .أما بقية القبائل فمواطنهم خارج النّطاق الإداري للمحافظة، وهم كما يلي : (أ) قبيلة وَقَشَة : في محافظة سراة عبيدة، إلى الجنوب من محافظة أحد رُفَيْدة، وتمثل بلاد قبيلة وقَشَة الحدّ الجنوبي لسراة عَنْز مع سَراة جَنْب . (ب) بعض قبيلة إلحاف : يقطنون في تَمْنِيَة وتهامتها، ضمن نطاق مركز تَمْنِيَة التابع – مباشرة – للعاصمة الإدارية لمنطقة عسير، وهي مدينة أبها .(ج) قبيلة آل مُسْتنير : يقطنون في مركز تَنْدحة، التابع لمحافظة خميس مشيط، إلى الشمال من محافظة أحد رُفَيْدَة، وبعضهم في محافظة أحد رُفَيْدة .

(*) مظاهر السطح (التضاريس) :

تنقسم مظاهر السطح في بلاد رُفَيْدَة على أربعة أقسام، وهي : (١) جبال السَّروات (الشّعاف) : في الجنوب، والجنوب الغربي من بلاد رُفَيْدة، المطلّة على تهامة، مثل : تَمْنِيَة، التي تقع في أعلى شعف أراشة، ويسكنها بعض قبيلة إلحاف من رفيدة، وإلى الشرق مَنها (آل حلامي) من إلحاف، ثم شعف جارمة، ثم بلاد قبيلة وقشة . (٢) الأَصْدار، جمع صَدْرٍ : في غرب جبال السروات، وتقع في أعالي المنحدرات في اتجاه تهامة، وهي تَمْنِيَة أيضاً، ويقطنها (آل جَليحة) من إلحاف، ومن قراهم هناك : موغط، وهيمان، والشِّلّة وغيرها. (٣) تهامة : في أسفل المنحدرات الغربية والجنوب الغربي لجبال السروات، ويسكنها :(أ) آل خَمْلان، من آل جَليحَة، من إلحاف، على أودية : ذَهْب، والملاح، ورَدُوم .(ب) بنو مُلَيْك، من إلحاف، في الحَبَلة وحتى وادي ذَهْب . (ج) عَراب آل هلال، من قبيلة جارمة، على وادي عتود .(٤) السهول : في المنحدرات الشرقية لجبال السروات، وتتخللها الجبال والهضاب والأودية، وهي تمثل أغلب مساحة بلاد رُفَيْدة، وتقطن في هذه السهول قبائل : آل الشواط، وآل الجَحَل، وإلحاف، وذُعَيّ، وبني قيس، وآل مستنير في تندحة، على وادي تندحة .(٥) الجبال والأودية : تتخلل بلاد رُفَيْدة مجموعة من الجبال والهضاب والأودية، وسيتم ذكرها في صفحات تالية من هذا المحور .

٢- محافظة أحد رُفَيْدة

يُمثل الحديث عن جغرافية محافظة أحد رُفَيْدة الواقع الجغرافي لبلاد رُفَيْدة بشكلٍ عام، فبعض بلاد رُفَيْدة الخارجة عن النِّطاق الإداري للمحافظة تُعدّ امتداداً طبيعياً لبلاد رُفَيْدة . وقد أخذت مدينة أحد رُفَيْدة اسمها من يوم الأحد، وهو يوم السوق

الأسـبوعي، وأضـيف إلى القبيلـة (رُفَيْدة) .ومحافظـة أحد رُفَيْـدة إحدى محافظات منطقة عسـير في جنـوب المملكة العربية السـعودية. ويعود تاريخ إنشـاء المحافظة إلى سـنة (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م) باسـم (دورية) يشـرف عليهـا (رئيس الدورية) حتى سـنة (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، إذ تحولـت إلى مسـمى (إمـارة أحدة رفيدة)، وأصـبحت تحمل اسـم (محافظة أحد رفيدة) منذ سـنة ١٤١٤هـ . ويتبع المحافظة المراكز التالية : (١) مركز الواديين أسـس سـنة (١٤١١هـ/١٩٩١م) .(٢) مركز شـعف جارمة أسس سنة (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) . (٣) مركز الفَرَعَيْن أسس سنة (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) [1] .

أ- الموقع : تقع محافظة أحد رُفَيْدة إلى الشرق من مدينة أبها، قاعدة إمارة منطقة عسـير الإدارية، ويفصـلها عن أبهـا محافظة خميس مشـيط ، ومركز الشـعف التابع للإمارة . وتقع المحافظة بين خطي الطول (٤٢,١٥ – ٤٣,٠٥ درجة شرقاً) وبين خطي العرض (١٨,٠٠ – ١٨,١٥ درجة شـمالاً) [2]. وعلى بعد (٥)كم - تقريباً - من وسط مدينة أحد رفيدة تقع مدينة (جُرَش) إلى جهة الشـمال ضـمن نطاق المحافظة، بل هي الآن ضـمن أحياء مدينة أحد رفيدة . وحدود المحافظة كما يلي(١) الشـمال : محافظة خميس مشـيط . (٢) الجنوب : محافظة سـراة عبيدة، ومركز الشعف . (٣) الشرق : محافظة سراة عبيدة .(٤) الغرب : مركز الشعف .

ب- مظاهر السطح (التضاريس) : تتألف مظاهر السـطح في محافظة أحد رُفَيْدة من خمسـة أقسام، وهي : (١) جبال السروات (الشِّعَاف) : وفيها شعف جارمة، وبلاد قبيلة وقَشَـة. (٢) السـهول : وهي تمثل المنحدرات الشرقية لجبال السروات، وهي تمثل مُعظم مسـاحة المحافظة، وتسـكنها أغلب قبائل رُفَيْدة، ومن أهم هذه السـهول سـهل الواديين، وسـهل بيشـة الممتد من جنوب المحافظة حتى شـمالها، ويخترقه وادي بيشـة الذي يبدأ من شعف جارمة، وينتهي في محافظة بيشة وما بعدها . (٣) الجبال والأودية : تنتشر الجبال والأودية في جميع أجزاء المحافظة،

المنـاخ : يميل المناخ في بلاد رُفَيْـدة، وفي المحافظة إلى الاعتدال نسـبياً ، فالجهات الغربية، وهي المرتفعات (الشِّـعَاف) معتدلة في فصـل الصـيف، إذ لا تزيد فيها درجة الحرارة عن(٣٠) درجة مئوية، ولا تصل إلى درجة الصفر في فصل الشتاء في الغالب .

(١) محافظة، أحد رفيدة، محمد عبد المتعالي، ص٢ . مجلة (مهرجان أحد رفيدة) ع٣، ١٤٣٧هـ، ص١٠

(٢) مجلـة (مهرجان أحـد رفيدة) ع٢، ١٤٣٦هـ، ص٨ . أحد رفيدة وجُرَش (علاقة المكان والسـكان) محمد أحمد معبِّر، بحث منشـور في كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ج٥، ص ٣١٦-٣٢٣. موسـوعة الآثار في منطقة عسير (أحد رفيدة) مسفر الخثعمي، ص٢٨ .

أما الجهات الشرقية (السهول) فتتميز – أيضاً – بالاعتدال، إذ لا تزيد فيها درجة الحرارة عن(٣٥) درجة مئوية في فصل الصيف. وتختلف تهامة عن مناخ السراة في ارتفاع درجة الحرارة في الصيف، واعتدالها في الشتاء .

وتهطل الأمطار – في الغالب – في فصل الصيف بكثرة، إذ يتأثر الإقليم بالمنخفض السوداني والمنخفض الهندي صيفاً، وتهطل الأمطار أحياناً في فصل الشتاء بسبب الجبهات الهوائية المتسربة من منخفض البحر المتوسط .

ثالثاً: المسار التاريخي لبلاد رفيدة وسكانها :

١- مدينة جُرَش

الحديث عن مدينة جُرَش – بضم الجيم وفتح الراء – لا ينفصل عن قبيلة رُفَيْدَة، إذا تُعدّ هذه المدينة حاضرة بلاد رُفَيْدَة، وزادت شهرتها حين تم فتحها في السَّنة العاشرة للهجرة . تقع مدينة جُرَش في نطاق مدينة أحد رُفَيْدَة في جهة الشمال منها . في كتابي (مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة) ذكرت ثلاثة أقوال في سبب تسمية (جُرَش)، ما ذكره ياقوت الحموي : (أ) بأنّ تبّعاً أسعد بن ملكيكرب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجُرَش، وهي إذ ذاك خربة، ومعدّ حالّة حواليها فَخَلَّفَ بها جمعاً ممن كان صحبه رأي فيهم ضعفاً، وقال : اجرشوا ههنا أي البثوا، فسميت جُرَش بذلك) . (ب) لياقوت أيضاً : "جُرَش قبائل من أفناء الناس تجرشوا، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم، خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور، فطلبه فاشتد تعبه، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعون على لحمه، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش، وكل من أجابه وأكل لحمه يومئذ كان جُرشياً" .(ج) قال صاحب تاج العروس : "وجُرَش كزُفَر مخلاف باليمن نسب إلى جُرَش وهو لقب مُنَبّه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن حمير " .

ويعضد القول الثالث أقوال علماء النسب كابن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب في قوله : " وذو يَزَن و جُرَش ابنا أسلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَمَ بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن الغوث بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حمير " . وقال الوزير المغربي : " جُرَش : في حمير : جُرَش وهو منبِّه بن أسْلَمَ ابن زيد بن الغوث " . وقال ابن حجر العسقلاني: "جُرَش، بضم أوله وفتح الراء ثم معجمة ابن عبدة، عن يحيى بن جابر، وعنه الهيثم بن سهل. وفي حمير جُرَش، وهو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث" . وذكر مثل هذا أبو جعفر بن حبيب البغدادي وأبو العباس المبرد .

وجـاء المبحـث الثاني في كتاب (جُرْشٍ) بعنوان (جُرَش عنـد اللغويين) (ص٢٥)، ولصلة هذا المبحث بما سأتحدث عنه لاحقاً فقد أثبته فيما يلي: قال صاحب تاج العروس: "جَرَش الشـيء قشـره فهو مجروش، وجرش الجلد دلكه ليملاس، قـال رؤبة: لا يتقي بالـدرق المجروش أي المدلوك ليملاس ويلين، وجرش الشـيء لم ينعـم دقه فهو جريش" .وقال ابن فارس: "جرش: الجيم والراء والشين أصلٌ واحد وهو جَرْش الشيء: أن يُدَقَّ ولا يُنْعَم دقه. يقال جَرَشْـته، وهو جريش، والجُرَاشـة: ما سَـقَط من الشيء المجروش". وفي أسـاس البلاغـة: "جرش الملح والحبَّ جَرْشـاً :لم يُنْعِم طحنَه ودقّـه، وملحٌ جريشٌ. وجرش الرأس بالمُشْـط: حكّه حتى يهيج هِبْرِيَتَه، ويُقَال للمُشَاطة: الجُرَاشة، وكذلك ما يَتَحاتّ من الخشب"[1]. وقال ابن دريد: "اشتقاق جُرَش وهو فُعَل، من قولهم: جَرَشْت الشيء، أجرِشه وأجرُشه، إذا نحتّه؛ وأجرِشُه أكثر. وبه سُمِّي الرجل جُرَاشة".

هذا ما اسـتطعت تقديمه عن كلمة (جُرَش) مـن قبل ما يقرب من خمس وثلاثين سـنة، وقد ملت إلى القول الثالث معتضـداً بأقوال علماء النسـب. فهل جدَّ في الأمر ما يُسَـوّغ إعـادة النظـر؟ أقول: لا جديد؛ بمعنى وصـول معلومات كانـت غائبة عنّا، فهي معلومات حاضـرة بين يدي، بل لقد أخذت بعضـها وتركت البعض الآخر، ثم استعجلت فكانـت الأحكام والأقوال الناقصـة. ولأبـدأ لكم من كتاب: (جُرَش، دراسـة في المكان والسكان)[2]. لأحمد بن علي مطوان. ففي الفصل الأول عنده (مدينة جُرَش السكان وتسـمية المـكان) اسـتعرض الأقوال في تسـمية جُرَش ثم رَجَّح القول الـذي يقول (بأن أسـعد بن ملكيكرب ... إلى آخر النص). وهـو ينقل عن الهمداني، وقد وقف عند أمر التبع الملك الحميري لبعض قومه بقوله: (اجترشـوا من هذه الأرض، أو اجرشـوا هنا؛ أي أقيموا فسـميت جُرَش). وإذا قرأنا ما ذكره ياقوت الحموي: (اجرشـوا ههنا أي البثوا، فسميت جُرَش بذلك)[3]. نجد التوافق بينهما في معنى جُرْش.

قلت: وقف أحمد مطوان عند هذا المقطع وسأل عن معنى (جُرَش) في لهجة حمير ولا سيما أن الملك الحميري يخاطب قومه بلهجتهم، فهل الجَرْش بمعنى اللّبث والاستقرار؟ وقد حاولت بعد قراءة هذا التساؤل للأخ أحمد البحث في بعض المراجع اللغوية المتعلقة بلهجة حمير فلم أجد لـجُرَش أثراً. ووقوف أحمد مطوان أمام هذا المقطع مما يُحْسَـب له في تدقيق النظر وتمحيص النص، إضـافة إلى فضـله في إثارة هذا الذي أقوم به الآن. وياقـوت الحمـوي لـه بعض السـبق في هذا المقطـع إذ قال: "ولم أجـد في اللغويين من قـال إن الجرش المقام، ولكنهم قالوا إن الجرش الصـوت، ومنـه الملح الجريش لأنه حُكّ

(١) الزمخشري (جُرَش).
(٢) معجم البلدان (جُرَش).
(٣) معجم البلدان (جُرْش).

بعضه ببعض فصوَّت حتى سُحق لأنه لا يكون ناعماً" [(١)] . ونعود إلى النص عند الهمداني وياقوت، فهما فسَّرا (اجترشوا أو اجرشوا بمعنى أقيموا أو البثوا) .فهل نقلا هذا الشرح عن غيرهما أم هما شرحاه، فإن كان النقل فلهما في ذلك العذر، وإن كان الشرح منهما فما هو دليلهما ؟ وقد مضى العتاب واستحال الدليل بموتهما. وقد أخطأت في كتابي: (مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة) حيث ركّزت على (جرش) بمعنى الدق والسحق والجرش، وأهملت المعاني الأخرى، وأخطأ معي - أيضاً - بعض الذين لم يدرجوا إلا المعنى الذي ذهبت إليه . ولماذا نقول أن الملك الحميري (أسعد ملكيكرب) خاطب قومه بلهجة حميرية، ونحن نعلم أن الحميرية عربية قديمة . لقد كان كتاب لسان العرب ضمن مصادر كتابي (مدينة جُرَش) وفيه : (والجَرْش : الإصابة، وما جَرَش منه شيئاً وما اجترش أي أصاب) . لذا يمكن القول أن الملك قال لهم (اجترشوا) أو (اجرشوا) أي أصيبوا شيئاً تتقوتون به. وهذا الحسن الصغاني (ت٦٥٠هـ) يقول في كتابه: (التكملة والذيل والصّلة) : " الجَرْشُ : الأكل . وقال ابن شُميل : اجرأشّ، إذا ثاب جسمه بعد هُزال .اجْتَرَش : اكْتَسب. اجْرَأشّ : ارْتَفع. واجْتَرش : اخْتَلس"[(٢)] .

فهاهنا أوسع مما في لسان العرب، فنجد الأكل، والاكتساب، والارتفاع، والاختلاس، وكلها تناسب ما كان فيه القوم من (حمْير) فقد يريد الملك الحميري بقوله (اجترشوا أو اجرشوا) أحد المعاني السابقة . وقال أحمد بن فارس: الجرش : الأكل[(٣)] . ونلاحظ أن الأقوال الثلاثة - في سبب تسمية جُرَش - تُنْسب إلى أناس من حمْيَر، فالمدينة منذ حملت اسم (جُرَش) حميرية حسب أقوالهم . وبقي الأمر المهم وهو : ما هو الصحيح من الأقوال الثلاثة؟ وهذا يحتاج إلى التحديد الزمني لكل من نُسب إليه كل قول، وأمامنا : (١) التبّع أبو كرب أسعد بن ملكيكرب . (٢) زيد بن أسلم، من حمير . (٣) جُرَش، وهو لقب مُنبّه بن أسلم بن زيد، من حمير .

أمّا التّبع أبو كرب أسعد، فقد اختلف في مدة حُكمه إلى عدّة أقوال، فقيل : (٣٧٨ – ٤١٥م) و (٤٠٠ – ٤١٥م) و (٤٠٠ – ٤٢٠م) و (٤٠٠ – ٤٣٠م) و (٤١٠ – ٤٣٥م) [(٤)] . وأمّا ما يخص النسب لزيد بن أسلم، أو منبّه بن أسلم الملقب بجُرَش، فقد أحاط بهما وبزمنهما الكثير من الأقوال والتخرصات . ولم يبق أمامنا إلاّ التسليم وقبول تسمية جُرَش في القرن الخامس بعد الميلاد، إلاّ إذا ظهر ما ينفي ذلك أو يؤيده . ونعود إلى

---

(١) السابق، (جُرَش) .

(٢) مادة (جرش) .

(٣) مجمل اللغة (جرش) .

(٤) المفصل، جواد علي، جـ٢، ص٥٧١ . دراسات في تاريخ العرب القديم، مهران، ص٣٦١ . أوراق في تاريخ اليمن القديم، يوسف عبد الله، ص٢٥٢ . التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، ص٧٤ .

النص الوارد في القول الأول من الأقوال حول تسمية جُرَش، وهو المقطع الذي يقول: (وهي إذْ ذاك خربة، ومعدّ حالة حواليها) . وهو يرتبط بالقرن الخامس الميلادي، عصر التبع أسعد كما أسلفنا . فهل أراد بمعنى خربة أنها كانت قائمة فخربت، أو بمعنى المكان الخراب ضد العمارة؟ ونأخذ بالرأي الأول؛ أي أنها كانت قائمة فخربت، ودليل ذلك ما ورد في تقرير المسح الأثري لمدينة جُرَش الذي تم ضمن المواقع الأثرية في المنطقة الجنوبية الغربية بالمملكة العربية السعودية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، حيث يقول: "وجدنا بتحليل[1] . طبقات التربة أن الطبقة السفلية بالموقع تعود إلى القرن الأول بعد الميلاد، وأن الطبقة الخامسة ترجع لعام (٢٨٠) ميلادية، بينما تعود الطبقات العلوية إلى فترات لاحقة، وترجع الطبقة الرابعة لعام (٥١٠) ميلادية، والثالثة للعصر الإسلامي، والثانية والأولى لعام ١٠٣٠م "[2] . ونستنتج من ذلك: (١) أن بداية الاستيطان كان في القرن الأول للميلاد . (٢) أن الطبقة الرابعة كانت بعد التبع أسعد .وهذا يؤيد تسمية جُرَش خلال القرن الخامس الميلادي، أما اسمها قبل ذلك فلا نعلمه . والمهم أننا أفدنا من هذه التسمية التحديد التقريبي لظهور جُرَش بهذا الاسم .

(*) **استيطان جُرَش :**

لو عدنا إلى تقرير المسح الأثري لمدينة جُرَش الذي تم ضمن المواقع الأثرية في المنطقة الجنوبية الغربية بالمملكة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وقد نشر تقرير المسح المبدئي الثاني في مجلة (أطلال) السعودية، وهذا نص ما يخص جُرَش : " في منطقة خميسٍ مشيطٍ الواقعة شمال مدينة نجران، يمثل موقع جُرَش (٢١٧ - ١١٨) مركزاً محلياً شمالياً لحضارة جنوب الجزيرة العربية، وكما هو الحال في منطقة نجران، فإن هذه المنطقة تحتوي على نوعين متميزين من المنشآت : الأول يتمثل في مبان من النوع الضخم، تحتوي على أساسات حجرية ومشيدة على طريقة الأطراف البارزة باستخدام أسلوب التثبيت المثلث الزوايا الذي تحدثنا عنه من قبل في موقع الأخدود، وقد عثرنا على خمسة مبانٍ على الأقل من هذا النوع على الرغم من أن بعضها قد تعرض حديثاً لشيء من التّغيير . أما النوع الثاني فيتميز باستخدام الآجر المحروق والطين والأحجار الصغيرة، إلاّ أن ما لحق بالموقع من دمار وما أصابه من عوامل تعرية قد أزالت الطين دون أن تمس الآجر أو الأحجار، مما جعل الموقع يبدو كركام ضخم من الدبش والحجارة، منها ستة ركامات على الأقل واضحة للعيانٍ . وقد وقع اختيارنا على أحد هذه الركامات لحفر مجس اختباري مساحته (٢×١ متراً)، توصلنا بواسطته إلى

(١) باستخدام طريقة (كربون-١٤) .

(٢) مجلة (أطلال) الرياض، ع ٥، ١٤٠١هـ، ص٢٥ .

حقيقة أن هذه المنطقة تحتوي على أنقاض ومخلفات عمرانية يصـل عمقها إلى(٢،٥) متراً، على الأقل، كما تمكنا من التعرف على ثماني طبقات، ولاحظنا وجود ثلاثة مباني مجـددة على الأقل مبنية بالأحجار والآجر غير المحـروق، كما احتفظنا ببعض العينات من الفخار والعظام لاستخدامها في التحليلات الزمنية للموقع .

وباسـتخدام طريقة (كربون - ١٤) في تحليل مكونات المجس، حصـلنا على نتائج تؤيد الرأي القائل بأن الموقع شـهد فترة اسـتيطانية أولى خلال الحقبة الزمنية موضع النقاش هنا، ثم فترة ثانية في بداية العصـر الإسـلامي . فقد وجدنـا بتحليل طبقات التربة أن الطبقة السفلية بالموقع تعود إلى القرن الأول بعد الميلاد، وأن الطبقة الخامسة ترجـع لعـام (٢٨٠) ميلاديـة، بينما تعود الطبقـات العلوية إلى فـترات لاحقة .وترجع الطبقة الرابعة لعام (٥١٠) ميلادية، والثالثة للعصـر الإسلامي، والثانية والأولى لعام (١٠٣٠) ميلادية .

أما عن فخار الموقع فهو مطابق تماماً لنظيره في نجران، أي النوع السميك الخشن ذو اللـون الأحمر، الممزوجة عجينته بالقش، والمزخـرف بالخطوط المتموجة والتنقيط، بيـد أننا عثرنا على كسـرة واحدة فقـط من الفخار المطلي ببطانـة حمراء، مما يوحي بأنه من النوع البيزنطي المضـلع . بالإضـافة إلى ذلك فقد عثرنا على كميات كبيرة من مصـنوعات الحجر الصـابوني العادية والمزخرفة، إلى جانب قطـع من الزجاج وخبث الحديـد . وكمـا هو الحـال في موقع الأخـدود فإن هذا الموقـع يبدو أنه قـد عاش فترة استيطانية متأخرة إبان العصر الإسلامي (أكدتها نتائج التحليل بطريقة كربون ـ ١٤)، نظراً لاحتوائه على كسر من الفخار المطلي باللون الأزرق والمزخرف بطريقة الترشيش، الذي تتميز به فترة العصـر العباسـي . وكما هو معروف عن مدينـة جُرَش، فقد كانت ذائعة الصيت أيام بعثة رسول الله ﷺ كأحد المراكز الضخمة في صناعة الجلود . وعلى بعد ثلاثة أرباع كيلو متر تقريباً إلى الشرق من جُرَش، هناك موقع جبل حمومة (٢١٧ـ ١١٩) الذي عثرنا فوقه على ستة نقوش كتابية على الأقل يوجد معظمها بالقرب من قمة الجبل، التي وجدنا فوقها بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته (١٠×١٥) متراً، ومشيد من جلاميد ضـخمة ملئت الفراغات فيما بينها بالدبش، ويوضـح مخطط المبنى وجود ثـلاث غرف على الأقل ممتدة بالطول، بينما يتناثر حوله كمية كبيرة من الفخار البني اللون الممزوج بالقش والمطلي ببطانة حمراء، تضم بعض القطع اللامعة ذات الزخارف المحـزوزة والمؤبلكة . وأخيراً فقد عثرنا على بعد كيلو مترين تقريباً شـرق مدينة جُرَش وسـط تلال منخفضة من الجرانيت، على موقع يدعى (شـعيب الهرير) (٢١٧-١٢٠) كان يحتوي على عدة نقوش كتابية محفورة بعناية)[1] .

(١) العدد الخامس، ١٤٠١هـ، ص٢٥ .

ولذلك يمكن القول: أن الموقع شهد فترة استيطانية أولى تزامنت مع ازدهار حضارة جنوب الجزيرة العربية، واستمرت دون انقطاع خلال العصر الإسلامي المبكر، ثم بدأ دورها في التراجع. ربما تدريجيا - بعد القرن الخامس الهجري، حتى فقدت أهميتها كلياً على الأرجح بعد القرن العاشر الهجري، في الوقت الذي لم يتوقف النشاط الاستيطاني في المنطقة، إلا أنه لم يعد قاصراً على مكان واحد، وإنما أقام العديد من القرى في أرجاء المنطقة، وتوزيع دور جُرَش على عدة مدن وقرى خلال العصر الإسلامي على وجه الخصوص، والتي بدأ بعضها في الظهور قبل الإسلام بقليل، أو في فجر الإسلام؛ ومن ضمنها برك الغماد، وضنكان، وتبالة، والجهوة، وبيشة وغيرها من المدن والقرى التي استمر بعضها حتى الوقت الحاضر[١]. وحسب معطيات التقرير - أيضا - يمكن تحديد عمر مدينة جُرَش في حدود ألفي سنة، فهناك ثمان طبقات تعود الطبقة السفلية منها إلى القرن الأول بعد الميلاد.

(*) جَبَلا حَمُومَة وشَكَر:

يمثل هذا العنوان المبحث الثالث من الفصل الأول ضمن كتابي (مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة) وفيما يلي أسوق النص الكامل لهذا المبحث: في كتاب: صفة جزيرة العرب[٢]. ذكر جبل حمومة، وأنه يقع شرقي جُرَش وبينهما مسيل، وهذا المسيل هو وادي بيشة. وذكر ابن هشام في خبر وفد صُرد بن عبد الله الأزدي أن أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر؛ وكذلك يسميه أهل جُرَش، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شكر[٣]. ويقول هاشم بن سعيد النعمي[٤] إنّ جبل حمومة هو جبل شكر. وأوردت حوليّة الآثار العربية السعودية (أطلال) ما نصه: "وعلى بُعْد (٤/٣) كم تقريبا إلى الشرق من جُرَش، هناك موقع جبل حمومة الذي عثرنا فوقه على ستة نقوش كتابية على الأقل يوجد معظمها بالقرب من قمة الجبل، التي وجدنا فوقها بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته (١٠× ١٥) متراً، ومشيد من جلاميد ضخمة ملئت الفراغات فيما بينها بالدبش[٥]، ويوضح المخطط وجود ثلاث غرف على الأقل ممتدة بالطول، بينما يتناثر حوله كمية كبيرة من الفخار البني اللون"[٦].

(١) آثار منطقة عسير، د. أحمد بن عمر الزيلعي (وآخرون)، ص٥٨.
(٢) الهمداني، ص٢٥٦.
(٣) السيرة النبوية، ج٤، ص١٧٣، ١٧٤.
(٤) تاريخ عسير، ص١٣.
(٥) صغار الحجارة المخلوطة بالحصى.
(٦) العدد الخامس، ١٤٠١هـ، ص٢٦.

ولنا وقفة مع هذه النصـوص من حيث تسـمية جبل حمومة بشَكَر هي : أننا نعلم أن جُرَش اشـتهرت بصـناعة المنجنيق والعرّادات وغيرها من وسـائل الحرب إضافة إلى أن جبل حمومة يقع على بعد (٧٠٠) متر تقريباً إلى الشـرق من جُرَش، ونعلم أيضـاً أن طريـق جُرَش إلى المدينة المنورة يتجه إلى الشـمال الغربي من جُرَش . وفي خبر صـرد بن عبد الله الأزدي أثناء غزوه لأهل جُرَش أنه رجع عنهم قافلاً حتى وصـل جبل شـكر فخرج أهل جُرَش في طلبه . وبهذا نحدد هذه المناقشة بعدة نقاط هي : (١) : أن المسافة بين جُرَش وجبل حمومة لا تعطي التصـور لأهل جُرَش أنّه انسـحب عنهم لعدة أسـباب منهـا : (أ) قرب الجبل منهم مما يمكنهـم من إصـابة سـفحه بالمنجنيق والعرّادات ، (ب) أنّه في غير اتجاه الطريق الصحيح فكيف تجوز هذه الخدعة. (ج) هذه المسافة لا تصلح لجولات الخيل وانطلاق الرجال لوقوع الوادي بينهما وعدم استواء الأرض . (٢) تملّـك أهل جُرَش للأسـلحة المتطورة في وقتهم يجعل جبـل حمومة في مجال قذائفهم . كما أنّه يمثل موقعاً مهماً للمحاصرين من أصحاب صُرد . (٣) لو نظرنا إلى موقع جبل (شَـكَر) الذي يقع شمال جبل ضَمك الشـامخ القمة لكان لدينا من الأسباب والأدلة ما يمكن أن يقال : إنّه جبل شكر وهي : (ا) وقوعه تقريباً في اتجاه الطريق الصحيح للعودة من جُرَش إلى المدينة المنورة. (ب) يُعْطي التصور الصحيح لعملية الانسحاب التي قام بها صرد ، فهناك من البعد بينه وبين جُرَش ما يؤيد هذا التصور . (ج) استواء الأرض حوله مما يمكّن الخيل والرجال من الكرِّ والفرِّ . (د) وجود التحصينات الطبيعية التي سـاعدت على اختباء جيش صـرد . (٤) إجماع الكثير من رجال المنطقة العقلاء وكبار السن على أن جبل (شَكر) هو الجبل الذي يقع شمال جبل (ضَمَك) .

(٥) يعتـبر جبـل (ضـمك) وجبل (حمومة) من الجبال المكشـوفة التي لا تصـلح لاختباء أفراد الجيش، أما جبل (شكر) فإنّ الذي يراه عن قرب يرى مدى أهمية المواقع العسـكرية التي مكنت جيش صُـرد من الاختباء ثم الظهور بسـرعة والاشتباك مع أهل جُرَش . أمّا اعتماد الشـيخ هاشـم النعمي على أن السيل فَصَـلَ بين الجيشين واتخاذه دليـلاً علـى أنّه وادي بيشـة الـذي يقع بين جبـل حمومة وجُرَش، فنجـد أنّ حَول جبل (شـكر) عدة مسـايل تعتبر أودية صغيرة . وبهذا نجد أنّ جبل (شكر) يقع شمال غرب جبل (ضـمك) كما توضـحه بعض الخرائط . وكما يُسَمّى الموقع شرقي جبل (شكر) بـ (البَغَثْ) .

هـذا ما ذكرته عن هذيـن الجبلين، ودار كلامي في محوريـن، هما: (١) أن جبل حمومة ليس جبل شَـكَر . (٢) إثبات جبل شَـكَر في شمال جبل ضمك . ولا زلت مُصرّاً

على المحور الأول، وهو أن جبل حمومة ليس جبل شَكَر، وذلك تبعاً للأسباب المذكورة في مكانها . وأقف مع المحور الثاني موقف المتأني، فهو يحتاج إلى إعادة النظر، مع ملاحظة التحفظ الوارد في كلامي حيث قلت (ما يمكن أن يقال : إنّه جبل شَكَر) وأعود هنا لأقول : لا يمكن الجزم بما قلته عن جبل شَكَر الواقع شمال جبل ضمك، فقد يكون ضمك هو شكر، وقد يكون غيره من الجبال القريبة، خاصة ما يكون في طريق عودة صرد بن عبد الله الأزدي وجيشه، لأن أهل جُرَش توهموا انسحابه، ولا يكون كذلك إلا بقرينة تدل على ذلك، ولا تتضح إلا عندما يسلك طريق العودة . فهل جبل حمومة القريب جداً من جُرَش يعطي التصور بالانسحاب فيما لو لجأ إليه صرد ؟ قطعاً لا . فجبل حمومة من صميم مدينة جُرَش ذاتها، فقد كان في أعلاه مبنى يتكون من ثلاث غرف تقريباً، ولو أمْعَنّا النظر فيما ورد في تقرير المسح الأثري - ذكرته أعلاه - الذي تم عام(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ونشر في مجلة أطلال لأدركنا أننا أمام جبل لا يبعد عن جُرَش إلا بنحو (٧٠٠) متر تقريباً، وتحديد هذه المسافة تم على واقع الأطلال الظاهرة من مباني المدينة، التي تم كشف بعضها عام (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، فأين سور المدينة الذي جعل صرد ينسحب عنه بعد حصاره لجُرَش . ربما كان جبل حمومة داخل هذا السور، وإن لم يكن كذلك فإن هذا السور سيكون على ضفة الوادي الغربية، وعند ذلك تقل المسافة المقدرة حالياً بـ (٧٠٠م) تقريباً . فهل نقبل بعد كل هذا بقاء التصور لأهل جُرَش بانسحاب المحاصِرين لهم إلى جبل أقل ما يقال عنه أنه كان مجاوراً لجُرَش إن لم يقع داخلها .

(*) دخول أهل جُرَش في الإسلام :

ورد خبر إسلام أهل جُرش في كتب التاريخ والسِّيَر، ومنها : (١) السيرة النبوية، لابن هشام .(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد . (٣) تاريخ الطبري .(٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير . وغيرها من كتب التاريخ الإسلامي وأورد هنا نص ابن هشام[(١)] . في كتابه السيرة النبوية : قدم على رسول الله ﷺ صُرد بن عبد الله الأزدي، فأسلم وحسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قِبَل اليمن . فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجرش، وهي يومئذ مدينة معلقة[(٢)]، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم رجع عنهم

(١) السيرة النبوية، جـ٤، ص١٧٣، ١٧٤ .

(٢) وردت في بعض الكتب : مغلقة، أي محصنة .

قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له كشر، ظن أهل جُرَش أنه ولَّى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلاً شديداً، وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتدان وينظران فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر؛ وكذلك يسميه أهل جُرَش، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شَكَر؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله؟ قال : إن بُدْن لتُنْحَر عنده الآن، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله ﷺ لينعي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال : اللهم ارفع عنهم، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة، وبقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فمالهم سحت) . وكل ما مضى يتعلق بإسلام أهل جُرَش عن طريق الحرب، إلاّ أن البلاذري يخالف ذلك، فيقول "(حدثني بكر بن القيثم، عن عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، قال: أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال، فأمرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين . وولى أبا سفيان بن حرب جرش"[١] . وقال ياقوت الحموي : "أسلم أهل تبالة وجُرَش من غير حرب فأقرّهما رسول الله، ﷺ، في أيدي أهلهما على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين"[٢] . وقال في رسم (جُرَش) : "فتحت جُرَش في حياة النبي ﷺ، في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفيء، وأن يتقاسموا العُشر ونصف العُشر"[٣] . ويمكن دَفْع التَّعَارض بين الرّوايتين، بأن إسلام أهل جُرَش بالحرب كان قبل ذهاب وفدهم إلى المدينة . والأمر يحتاج إلى توسع في دراسة السَّند لكل رواية، والبحث عن روايات أخرى، وهذا يحتاج إلى وقت وجهد، وهو ما لا أملكه الآن .

(١) فتوح البلدان، ص٧٠ .
(٢) معجم البلدان (تبالة) .
(٣) معجم البلدان (جُرّش) .

٢- قبيلة عَنْز بن وائل :

أ- المسار التاريخي لقبيلة عَنْز بن وائل : تمثل قبيلة رُفَيْدَة أحد الفروع الثلاثة لقبيلة عَنْز بن وائل، وهي (عسير، أراشة، رُفَيْدَة) وهذا يستلزم استعراض المسار التاريخي لقبيلة عَنْز في سراتها التي حملت اسمها (سراة عَنْز بن وائل) وهو كما يلي :

(*) عَنْز بن وائل في العصر الجاهلي وأوائل القرن الأول الهجري :

عند الهَمْداني إشارات واضحة تؤكد وجود قبيلة عَنْز بن وائل في العصر الجاهلي، وأوائل القرن الأول الهجري، فهذا عمرو بن يزيد أخو بني حيٍّ بن عوف يقول :

ومِلْتُ إلى عَنْز ففي دار وائل بَهَاليلُ مِنَّا سادة وأسود

ويقول الهمداني : "مُحَكّم بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن مسعود، وهو الذي رجع من بلد عَنْز بن وائل من دم أصابه من قومه، وذلك بعد خروج أبيه إلى المدينة[1]. في آخر أيّام الهجرة"[2].

ويقول مالك بن قطينة العوفي :

ترَحّل عمرو عن قطائع قومه فحالفَ موج البحر عَنْز بن وائل

(*) عَنْز بن وائل في القرن الثاني الهجري : قال ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ) :

" عَنْز مع خثعم حيث كانوا حلفاء لهم " ثم قال : " وهم إلى جنب خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا "[3]. وفي سنة(١٣٤هـ/٧٥١م) رحل أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيبي العوسجي من صعدة إلى جُرَش، ونزل في تندحة، وكانت من أحواز جرش التي تسيطر عليها قبيلة عَنْز بن وائل، فوقعت الحرب بينه وبين عَنْز، وانتصر عليهم، وسكن في جُرش[4]. وهذا يدل على تمكن عَنْز من سراتها أصلاً .

(*) عَنْز بن وائل في القرن الثالث الهجري :

من خلال ما ورد عن عَنْز في القرن الثاني كحلف مع خثعم حسب كلام ابن الكلبي، وما سيرد عن قبيلة عَنْز كصاحبة ديار وسراة تحمل اسمها في القرن الرابع الهجري حسب كلام الهمداني .أقول : من خلال ذلك يمكن القول - على وجه التّأكيد - بأن لقبيلة عَنْز سراة وديارا تحمل اسمها في القرن الثالث الهجري .

---

(١) المدينة المنورة .
(٢) الإكليل، ج١، ص٢٥٥ .
(٣) جمهرة النسب، ج٢، ص١٩٣ (تحقيق العظم) .
(٤) الإكليل، ج٢، ص١٣٩. قصة الأدب في اليمن، أحمد محمد الشامي، ص٢٦٠ .

(*) **عَنْز بن وائل في القرن الرابع الهجري :**

تَجَلَّت في هذا القَرْن صُورة واضحة لسراة عَنْزٍ بن وائل، فقد وضعها الهمداني ضمن السروات، وجعل بلادها بين سراة جَنْب جنوباً، وسراة الحَجْر شمالاً(١) . وقال في موضع آخر عن جُرش : : هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عَنْز، ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمْير"(٢) . وقال الهمداني في الإكليل(٣) . "إنّ جرش مناصفة بين العواسج وعنزه وهذا الرحالة اليمني، يحكي هذا الواقع في النصف الأول من القرن الرابع، وذلك يدل على قدَم هذا الاستيطان والتسمية بديار عَنْز، ولا شك أن ذلك حصل قبل ذلك بمدة طويلة، إذ لا يمكن أن يُطلق عليها سراة عَنْز أو ديار عَنْز إلاّ إذا كان لهذه القبيلة وجود متأصل منذ مئة عام على الأقل . إضافة إلى عدم ذكره للحلف الذي ذكره ابن الكلبي بين خثعم وعَنْز . وكان الشاعر محمد بن إبراهيم بن إسحاق العوسجي معاصراً للهمداني، وساق له شعراً في بعض أيامه مع عَنْز بن وائل، منه :

وكيف ترى عَنْز خضوعي وذلّتي   ونَهدٌ وجَنْبٌ جيرتي وأقاربي

ومنه :

لا عيش يغبطني ولست بغافل   حتى أنام ودار عنز مهيع(٤) .

(*) **عَنْز بن وائل في القرن الخامس الهجري :**

في سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) خرج القاسم ومحمد ابنا جعفر بن القاسم العَيَّاني من بلاد صعدة، وهما يقصدان وادي تَرْج بأعالي بيشة . وقد ذكر هذه الرحلة مفرح بن أحمد الربعي في كتابه: (سيرة الأميرين الجليلين) وأشار إلى مرورهم ببلاد سَنْحَان، وبلاد عبيدة من جَنْب، حتى دخلوا بلاد عَنْز بن وائل، واستضافهم البَذَّاخ وهو رجل من جذيمة من عَنْز بن وائل، وهو دليل الحاج، وكان مُفَاتنا للعواسج بجرش . وقال الربعي : استصحب لنا رجلاً رُفيدياً من عَنْز(٥) . قلت : يتضح من هذه الرحلة وجود قبيلة عَنْز بن وائل في سراة عَنْز، وذلك يؤيد تقسيم الهمداني للسروات، فنجد الربعي يذكر عبيدة من جَنْب، وهي الحدّ الجنوبي لسراة عَنْز عند الهمداني .

---

(١) صفة جزيرة العرب، ص١١٩ . وانظر : أحسن التقاسيم للمقدسي، ص١٠٣ .
(٢) المصدر السابق، ص٢٥٥ .
(٣) ج٢، ص١٣٩ .
(٤) ص ١١٩ .
(٥) الإكليل، ج٢، ص ١٤٣

(*) عَنْز بن وائل في القرن السادس الهجري :

هناك الكثير من النصوص التاريخية التي تؤكد وجود قبيلة عَنْز بن وائل في سراة عَنْز، ومدينة جُرَش، فمن ذلك ما جاء في كتاب (سيرة الإمام أحمد بن سليمان)، من تأليف سليمان الثقفي (ت بعد ٥٦٦) إذ يقول في أحداث سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م): "وصل في تلك المدة إليه[١]. مشايخ من جَنْب بن سعد من أهل راحة وما يليها، وذكروا له رجلاً من عَنْز يقال له عرفطة بن الطحل أنه قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وسألوه المخرج إليه ففعل ذلك، ونهض بقوم من خولان أهل خيل وتراس وقياس "[٢]. وقال: "ووفد إليه مشايخ خثعم منهم مزروع بن زياد، فَهَمّ بالمخرج معهم إلى بلاد عَنْز، وعلمت بذلك خولان فوصلوا إليه وسألوه التوقف لانشغالهم ذلك الوقت بالزرائع وغيرها إلى أن يفرغوا ففعل ذلك، ثم تقدم في شهر صفر إلى المغرب من بلاد خولان فبلغ بني بحر وغيرهم، وتقدم إلى الأبقور ووصل جبل الغز يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله، ويحضهم على المخرج معه إلى الشام[٣]، وكان حريصاً على المخرج إلى بلاد عَنْز، وكان قد عقد بذلك للجنبيين والخثعميين، وقال في ذلك الوقت شعرا يؤنب فيه قبائل خولان ويحضهم على المخرج معه، ومنه:

دعوت الملا طرا إلى خير الأديان ... وناديت جهراً في نزار وقحطان

إلى أن قال:

وأبت ووافاني مشايخ خثعم ... وجنب بناة المكرمات وسنحان

وقالوا تخرج نحو عَنْز فإنهم ... أحق الملا بالخزي في كل الأحيان

وهم قطعوا الحجاج من بيت ربنا ... وفيهم طغاة أهل فسق وعصيان[٤]

وهناك حادثة الوباء التي حصلت في سراة عَنْز، فقد ذكرها ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) فقال في حوادث سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م): "وفيها وقع في بني عَنْز بأرض الشراة[٥]. بين الحجاز واليمن وباء عظيم، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فوقع الوباء في ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم أحد، وكان الإنسان إذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقيت إبلهم وأغنامهم لا مانع لها، وأما

---

(١) أي إلى الإمام أحمد بن سليمان.
(٢) ص٩٩.
(٣) يريد بالشام بلاد عَنْز.
(٤) ص ١٠٠. (والأبيات ركيكة).
(٥) وردت بالشين المعجمة، وصوابها بالسين المهملة.

القريتان الأخريان فلم يمت فيهما أحد ولا أحسوا بشيء مما كان فيه أولئك "(١) . وأورد ابـن كثير (ت٧٧٤هـ) في حوادث سـنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : شـيئاً ممـا ذكر ابن الأثير . وذكر ابن دعثم هذه الحادثة، وأرَّخها في سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، فقال : " مَنَّ اللّه على مـن دخل في طاعته (٢)، وصبّ النقمة على من خرج عنها، والموت بالطاعون الشـنيع في بلد عَنْز "(٣) . وقال أيضـاً في حوادث سـنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م) : " ومنها الطاعون الذي حدث في بلاد عَنْز بن وائل "(٤) . وذكر هذه الحادثة أحمد بن صالح بن أبي الرجال وقال أنها وقعت سـنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) (٥) . وقد بحث هذه الحادثة أحمد بن علي مطوان في كتابه: (جُرَش، دراسـة في المكان والسكان) (٦) . وأفاض في الحديث عنها، ورَجَّح وقوعها في جُرَش من ديار عَنْز بن وائل آنذاك، ثم ساق الرواية الشعبية المتداولة عن هذا الوباء.

(*) **<u>عَنْز بن وائل في القرن السابع الهجري :</u>**

قـال يحيـى بن الحسـين (ت ١١٠٠هـ) في حـوادث سـنة(٦١٤هـ/١٢١٧م) :"دعا الإمـام المعتضـد بـاللّه يحيى بن المحسـن بن محفوظ بـن محمد بن يحيـى، من أولاد الهادي، للإمامة بنواحي صـعدة، وكان أهلاً للإمامـة، فأجابه كثير من العلماء، ودخل صَـعْدة، ثم تخوف من الأشـراف بني حمزة، فخرج إلى الشـام(٧)، واستنصر بقوم من عَنْـز وبني شـريف، فأعانوه بنحو ثلاثمئة فارس "(٨) . قلـت : "في هذا النص دلالة على وجـود عَنْـز في هذا القرن، مع اسـتمرار قوتهم، حتى أن هذا الإمام يستنصـر بهم مع بني شـريف .وفي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م) استنصر عز الدين محمد بن الإمام حاتم بن الحسين بعَنْز وبغيرها من القبائل، وفي ذلك يقول :

حـولي الـيَـعْـرُبـان عَـنْـزٌ وقـحـطـانُ وجَـنْـبٌ وأخـتـهـا أنمـارُ(٩) .

وشهد هذا القرن(٧هـ/١٣م) اختفاء ذكر مدينة جُرَش في المصادر التاريخية، مع قبيلة عَنْز بن وائل كقوة مسـيطرة على هـذه المدينة . فنجد ياقوت الحموي (ت بعد

---

(١) الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٢٥٦ .
(٢) يقصد الإمام عبد الله بن حمزة .
(٣) السيرة المنصورية، جـ١، ص٥٦ .
(٤) المصدر السابق، جـ١، ص٣٣٧ .
(٥) مطلع البدور ومجمع البحور، جـ١، ص١٠ .
(٦) ص ١٤٠ .
(٧) المقصود جهة الشام، أي ديار عَنْز .
(٨) غاية الأماني، جـ١، ص ٤٠٧ .
(٩) السمط الغالي الثمن، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي، ص١٧٩ .

٦٢٦هـ) يذكر مدينة جُرَش ويتحدث عنها .ثم نجد ابن المجاور (ت٦٩٠هـ) [١] . يتحدث عـن ذهبان، وكأنها قاعدة للمنطقة، فيقول : "أما ذهبـان فهي أم القرى ودور أعمالها أربعـون فرسـخاً"[٢] . ولم يذكر ابن المجاور مدينة جُرَش .وهذا لا يعني انقراض قبيلة عَنْز بن وائل، وإنما زوال قوتها وسـيطرتها .فقد ذكر ابن المجاور - نفسـه - في وصـفه الطريق من صـعدة إلى ذهبان، وهو يتحدث عن موضـع مدينة أحد رفيدة وما حولها، فقـال : " وتُسَـمَّى هـذه الأعمال بيشـة العباس بن مالـك بن عمرو بن وائـل يرجع إلى نزار"[٣] . والصـواب بعد مالك : من عَنْز بن وائل . وذكر السـخاوي (ت ٩٠٢هـ) رجلاً اسـمه : محمد بن مقبل بن سـعد بن زائد العُقَيْلي، ولد سنة (٧٩٠هـ) في بيشة من بلاد نجد، ثم صـاهر قبيلة عَنْز بنواحي اليمـن، ولم يذكر تاريخ وفاته[٤] . وفي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) نجد عباس بن علي الموسوي (ت١١٨٠هـ) يذكر (عَنْز) في رحلته من مكة إلى اليمن عبر السـراة، في نحو سـنة (١١٤٢هـ/١٧٢٩م) [٥] ، ولكـن مـا أورده كان من قبيـل النقل عن كتاب، أو أن أحداً أخـبره بذلك، لأنه لم يمر على سـراة عَنْز. وفي القرن (١٣هـ/١٩م) - أيضـاً - ظهر اسـم (بيشـة ابن سـالم) ويطلق هذا الاسم على مدينة أحد رفيدة وما جاورها، وابن سالم من آل سالم من قبيلة (ذُعَي) من (رفيدة)، ومن أشـهر زعماء أسـرة آل سـالم (غشّـام بن عامر) المعاصر للإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود[٦] . ونخلص من هذا الفصل إلى أصالة عَنْز بن وائل في سـراتها، وبفروعها : (عسير، وأَرَاشـة، ورُفَيْدة)، وأنّ عصر عَنْز بن وائل يعود إلى أكثر من ثلاثمئة سنة قبل الهجرة، واستمر هذا الوجود إلى يومنا هذا .

ب- الموقع الجيني المَذْحِجيّ العَنْزِيّ :

يُعَدّ ابن الكلبي - فيما أعلم - أوّل من سـاق نسـب عَنْز بن وائل إلى عدنان، فقال: "عَنْـز - واسـمه عبد الله- ابن وائل بن هِنْب بن أَفْصَـى بن دُعْميّ بن جديلة بن أسـد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان "[٧] . وأَخَذَ بهذا النَّسَـب منَ جاء بعده، وتَرَسَّـخَت الرَّبَعِيَّـة، أو النِّزَارِيَّـة، أو العدنانية في عَنْز بن وائل، حتى قال عنها الهمداني : "يمانيّة

(١) هناك خلاف حول شخصية ابن المجاور وتاريخ وفاته .
(٢) تاريخ المستبصر، ص ٢٨.
(٣) تاريخ المستبصر، ص٢٨، ص٢٠٨ .
(٤) الضوء اللامع، جـ ١٠، ص ٥٢ .
(٥) مع الموسوي المكي في رحلته، حمد الجاسر، مجلة (الفيصل)، ع ٢٣٠، ص٣٦ .
(٦) أحد رُفَيدة وجُرَش (علاقة المكان والسكان) محمد بن أحمد معبِّر، بحث منشور في كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) جـ٥ ص٣١٦ .
(٧) نسب معدّ واليمن الكبير، جـ١، ص٩٤ .

تَنَزَّرَت"(١) . وبما أنّ ابن الكلبي قد ذكر وجود عَنْز في السراة وقَرَن ذلك بحِلْف مع خثعم، فإنّ هذا يدلّ على اتفاقهما – ابن الكلبي والهَمْدَاني – على الموقع الجغرافي لقبيلة عَنْز بن وائل في سَرَاتها المعروفة باسمها .وقد بنى الهمداني قوله (يمانيّة تَنَزَّرَت) على الواقع التاريخي في سياق نسب عَنْز عند ابن الكلبي، مع النظر للواقع الجغرافي لسَرَاة عَنْز، الذي يقع في محيط جغرافي يُجاور اليمن، ولأنّ الهمداني صاحب عصبية لليمنية القحطانية، فلم يرَ بُدّاً أمام سياق النَّسَب المذكور آنفاً إلاّ أن يخرج من هذا الإشكال بقوله : يمانيّة تَنَزَّرَت .

وكان موقف ياقوت الحموي (ت بعد ٦٢٦هـ) مشابهاً لموقف الهمداني – خَلاَ العصبيّة – حيث قال : " بأنّ تُبّعاً أسعد بن كُليكرب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجُرَش، وهي إذْ ذاك خربة ومعدّ حالَّة حواليها"(٢) . والشاهد في : معدّ . ونعود إلى ابن الكلبي وسيَاقه لنسب عَنْز بن وائل في العدنانية، فهو نفسه قد ذكر (عبد الله بن وائل) المَذْحَجيَّ، فقال : " وولَدَ وائلُ بن مَرَّان : مُعَاوية، وعبد الله، وبكْراً "(٣) . وهو: عبد الله ابن وائل بن مَرّان بن جُعْفيّ بن سعد العشيرة بن مَذْحج. وبذلك أصبح لدينا : (١) عبد الله بن وائل الرَّبَعي النِّزَاري . (٢) عبد الله بن وائل المَذْحجي . ويقترن كل واحد منهما بأخ اسمه (بكر) . فلماذا ساق ابن الكلبي نسب عَنْز إلى الرَّبعيّة النِّزارية ؟

عاش ابن الكلبي في مرحلة بداية تدوين الأنساب، وتحولها من الشفاهية إلى الكتابية .وربما نظر ابن الكلبي إلى الأشهر، فوجد وائل ربيعة أشهر من وائل مَذْحج، مع قرينة تتمثل في اسم أخيه (بكر)، ولقبيلتي بكر وتَغْلب صيت في الجاهلية، بسبب الحروب التي جَرَت بينهما، ولذلك ساق نسب عَنْز إلى وائل ربيعة . إلاّ أنّ ظهور علم (DNA) يجعلنا نُعيد النَّظر في صحّة ما ذهب إليه ابن الكلبي، فقد جمع التحوّر (FGC 14297) فروع عَنْز ابن وائل : (عسير، وأراشة، ورُفَيْدة) وهذا التَّحَور فرع سبئي ثم مَذْحجيّ (by9) . ولا نملك أمام هذه النتائج القاطعة إلاّ التسليم والقبول بسيَاق النَّسب الصَّحيح لعَنْز بن وائل، وذلك بناء على معْيَار التَّكتّل للقبائل ذات الموروث السبئي في المصادر التاريخية على التَّحَوّر (by8)، وهو كما يلي : عبد الله (عَنْز) بن وائل بن مرّان بن جُعْفيّ بن سعد العشيرة بن مَذْحج .ويُضاف إلى نتائج التحليل الجيني (DNA) بعض الإيضاحات، ومن أهمها:(١) رابطة النَّسَب الموحّدة لفروع عَنْز بن وائل، والمستمرة حتى هذا اليوم .(٢) المسار التاريخي للوجود العَنْزي منذ العصر الجاهلي،

(١) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٦ .
(٢) معجم البلدان (جرش) .
(٣) نسب مَعَدّ واليمن الكبير، جـ١، ص٣٠٩ .

من خلال المصـادر التاريخية والوثائق المعاصـرة . (٣) الموقع الجغرافي لقبيلة عَنْز في سـراتها، والمتوافق مع الموقع الجينـي في محيط مَذْحجي، وهذا يجعل من (عبد الله بن وائل الجُعْفي) أقرب وألْصَق بمذحج . (٤) التّوافق أو التقارب الزَّمَني لكل من عبد الله بن وائل المَذْحجي، وعبد الله بن وَائل الرَّبعي .

فإذا نظرنا في نسب الصحابي عامر بن ربيعة الرُّفيْدي، وهو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حُجْر بن سلامان بن مالك بن ربيعة ابن رفيدة بن عَنْز بن وائل[١]، فسوف يكون بينه وبين عَنْز أحد عشر جَدّاً، وإذا كانت سلسلة النسب صـحيحة، ولم يحصـل أي سقطٍ في الأجداد فإن عصـر عَنْز بن وائل يكون قبل أكثر من ثلاثمئة سـنة قبل الهجرة تقريباً . ويقابله نسـب الصحابي قَيْس بن سلمة الجُعْفي، وهو قيس بن سلمة بن شراحيل بن شيطان[٢] بن الحارث بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد ابن عمرو بن ذُهْل بن مَرَّان بن جُعْفِيّ ابن سعد العشيرة بن مَذْحِج[٣] .

٣ـ قبيلة رُفَيْدَة (فروعها وبلادها):

أـ تمهيد : رُفَيْدَة في اللغة من (رفد) والرِّفْد : العطاء والصِّـلَة . والرَّفْد : المصدر . رَفَدَه يَرْفدُه رَفْداً : أعطاه . ورَفَدَه وأرْفَدَه : أعانه . وترافدوا : أعان بعضهم بعضاً . والمَرْفَدُ والمُرْفَدُ: المعونة[٤] . وعلى ذلك فإن اسم (رُفَيْدَة) يعني التعاون والعطاء المؤدي إلى التناصر والتلاحم . والفروع الأساسـية لقبيلة عَنْز بن وائل : رُفَيْدة، وأراشــة، وعسير، وتفرَّعَت هذه الفروع الثلاثة إلى فروع أخرى، وهي في بعض كتب الأنساب كما يلي : هو عَنْز واسمه (عبـد الله) بـن وائل[٥] . وَوَلَدَ عَنْز : رُفَيْدَة، وأرَاشــة .فولد رفيدة بـن عَنْز : عبد الله، وعامـراً، وربيعـة، ومعاوية، وعمـراً، وحماراً .فولَدَ عمرو بن رفيدة : شَـقيقاً، وسَـلَمة، وتميماً، وعبد الله .وَوَلد ربيعة بن رفيدة : مالكاً. فولَدَ مالك : جذيمة، وَسَلامان، وتَوْلَباً .فولد سَـلامان : حُجْراً . وولد عامر بن رفيدة : عبد الله، وإياسـاً، ووَهْباً . وولد أرَاشــة بن عَنْز: قناناً، وعسيراً[٦]، وجندلة . فولد عسير بن أراشة : مالكاً، وتيماً . فولَدَ مالك : غنْماً . وولد تيم : سلمة، وزهيراً، وعمراً[٧] .

---

(١) جمهرة أنسـاب العرب، ابن حزم، ص٣٠٣ . جمهرة النسـب، ابن الكلبي، ص٥٧٦. الاسـتيعاب، ابن عبد البر، جـ٢، ص٧٩٠ . الإصابة، ابن حجر، ترجمة رقم (٧٣٧٤) .

(٢) في الإصابة : (سعدان) جـ٣، ص٢٤٠ .

(٣) نسب معدّ واليمن الكبير، جـ١، ص٣٠٤ .

(٤) اللسان (رفد) .

(٥) نسب معد واليمن الكبير، ابن الكلبي، ج١، ص٩٤ . جمهرة أنساب العرب . ابن حزم، ص٣٠٢ .

(٦) ورد (عشير) بالشين المعجمة في جمهرة النسب، لابن الكلبي، وهو بالسين المهملة في كتابه نسب معدّ واليمن الكبير .

(٧) جمهرة النسب، ابن الكلبي، ص٥٧٥ . نسب معد واليمن الكبير، ابن الكلبي، جـ١، ص٩٤ .

وقال الهمداني : "وأولد عَنْز بن وائل على ما خبرني بعض من يصـاليهم من جنب : رُفيدة وأراشة، فأولد رفيدة : ربيعة، ومعاوية، وعَامراً، وعبد الله، وعمراً، وحماراً، فأولد ربيعة : مالكاً، فولد مالك : جُريمة، وتولبا، وسـلامان . وولد عامر بن رفيدة : عبد الله، ووهباً، وإياساً، وولد عمرو بن رفيدة : سلمة، وشقيقاً، وتميماً، وعبد الله، وأولد أراشة بن عَنْز : عسيراً، وقناناً، وجندلة، فولد عسير : مالكاً، وتميماً، فولد مالك : غُنْماً، وحارمة، وجديلاً، وتَيْماً، فولد تيم بن مالك : زهيراً، وسـلمة – وفيها بنو شـيبة – وعضاضـة[1] .

وذكر الهمداني بعض الفروع، وهي :(أ) بنو عبد الله بن عامر (في عُنْقَة) . (ب) بنو أبي عاصم (في العَيْبَا) . (ج) بنو أسد (في دلغان) .(د) بنو شَيْبَة (في القرعاء، والمَسْقي). (هـ) حازمـة (في الرُّفيـد) (جارمة) . (و) بنـو حديد (في الغَوْص.(ز) بنو غنمَ (في الرّاكس) .(ح) بنو مالك (في تَمْنِيَة) .(ط) بنو جابرة، من شيبة .(ي) بنو النُّعْمان[2] .

وقد احتفظت الفروع المعاصرة لقبَيلة عَنْز ببعض أسماء الفروع القديمة، ومنها : عسير، وأراشة، ورُفَيْدَة، وعُضَاضة، وبنو جابرة، و بنو وَهْب، وبنو مالك .

وتُعَـدّ الفـروع الثلاثـة الأساسـية القديمـة (عسـير، وأراشـة، ورُفَيْـدة) مُرْتَكزاً للتفريعـات المعاصـرة المرتبطة بالفروع القديمة نسـباً وجغرافية، وهـي كما يلي : (١) عَسـير : وفروعها المعاصـرة : مُغَيْد، وعَلْكَـم، وربيعة ورُفَيْدَة، وبنو مالك .(٢) أَرَاشَـة: وفَروعهـا المعاصـرة : بنو مالـك (في الشّـعف وتهامة)، بنو جَابـرة (منْ شـيْبَة)، وآل سـرحان، والقرعاء (منْ شَـيْبَة)[3]، والمَسْقي (من شَـيْبَة)[4]. (٣) رُفَيْدة : وفروعها المعاصـرة : قبيلـة آل الجَحَل ،وقبيلة آل الشُّـوَاط، وقبيلة آل مُسْـتَنير، وقبيلة جَارِمَة،و قبيلة بني قَيْس، وقبيلة خَطّاب، وقبيلة إلحاف، وقبيلة ذَعَيّ، وقبيلة وَقَشَة .

ب ـ قبائل رُفَيْدة وبلادها :

تقطـن أغلب قبائل رُفَيْـدة في النطـاق الإداري لمحافظة أحد رفيـدة، وهي قبائل: (آل الجَحَـل، وآل الشّـواط، وجارمة[5]، وبنو قَيْس، وخَطّـاب، والحاف، وذَعَيّ، وبعض آل مسـتنير) .أما بقيـة القبائل فمواطنهم خارج النطـاق الإداري لمحافظة أحد رُفَيْدَة، وهم كما يلي : قبيلة وَقَشَـة : في محافظة سـراة عبيدة، إلى الجنوب من محافظة أحد رفيدة. بعض قبيلة إلحاف : يقطنون في تَمْنِية وتهامتها ضـمن نطاق مركز تَمْنِيَة التابع

---

(١) الإكليل، جـ١، ص٢٦٢ .

(٢) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٥ .

(٣) قال الهَمْداني: (القرعاء لشَيْبَة من عَنْز، ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المَسْقي) ثم قال: (المَسْقي لشَيْبَة منْ عَنْز) وهذا يتوافق مع التحليل الجيني لفروع (أراشة) التي تلتقي في التّحَوّر (14297 FGC) الذي يجمع فروع عَنْز بن وائل . (صفة جزيرة العرب، ص٢٥٧) .

(٤) ومن جارمة في تهامة قرية (عراب آل هلال) .

(٥) ومن جارمة في تهامة قرية (عراب آل هلال) .

- مباشـرة - للعاصـمة الإدارية لمنطقة عسـير مدينة أبها . قبيلة آل مستنير : في مركز تَنْدحة، التابع لمحافظة خميس مشـيط، وبعضـهم في محافظة أحـد رُفَيْدَة . وفيما يلي تَفصيل موقع كل قبيلة، وقراها :

(١): قبيلة آل الجَحَل :

تقع بلادها في الشـمال الغربـي من بلاد رُفَيْدَة (والمحافظـة) وحدودها كما يلي : الشَّـمال : بلاد قبيلة آل سـرْحَان . والجنوب : بلاد قبيلة إلْحَاف. والشـرق: بلاد قبيلة ذُعَيّ، وبلاد قبيلة آل رُشَـيْد شـهران. والغرب : بلاد قبيلة آل سـرْحان، وبلاد قبيلة آل يزيد .وقراها الرئيسـية هي : (١) آل بنْحي . (٢) آل العَزب. (٣) خَاران.(٤) الذِّيبة .(٥) الصَّـفراء . (٦) المَجَرَّه . (٧) المَجْمَع . (٨) مَحْجَر آل الحَجَل. (٩) المَحْشُـوش . (١٠) مَلَحة . أما جبالها فهي : (١) دُخّان (وهو الحدّ مع قبيلة آل رُشَـيْد، شـهران) . (٢) سَفَر . (٣)شَثّ الأعلى . (٤) شَثّ الأسفل.(٥) ظُور مُعَافا. وأوديتها : (١) الأَجْورَة .(٢) الحُوَيْب . (٣) خَارَان .(٤) الذِّيبَة .(٥) الوَجيهَة .

(٢) قبيلة آل الشُّوَاط :

تقع بلادها في الشـمال الشـرقي من بلاد رُفَيْدَة (والمحافظة). وحدودها كما يلي: الشـمال : محافظة خميس مشـيط ،والجنوب : بلاد قبيلة وَقَشـة، والشـرق : محافظة سـراة عبيدة. والغرب: بلاد قبيلة بني قَيْس، وقبيلـة ذُعَيّ . والقُرَى: (١) آل جرو (من جَارمة). (٢) آل رُمَيْح:(هم من آل رُمَيْح من جارمة). (٣) آل مَشْهُور. (٤) آل هَتْلان (مـن جَارمة) . (٥) الحبقة .(٦) حَضَـنَ مَنيع . (٧) الحَضيـرة. (٨) الحَنْوَاء. (٩) الخَنَق .(١٠) الشِّـعْبين . (١١) صَـرَايم .(١٢) الضِّـرْس (من جَارمـة) . (١٣) ظَوْر الطَّحين .(١٤) العَان . (١٥) العرْق.(١٦) لَزْمَة .(١٧) مَخْبأ.(١٨) الهَجْلَة . وجبالها الرئيَسية: (١) الأوعال (لَوْعَال) .(٢) بنو حمران (جبال). (٣) جُرَيْب . (٤) الجَمَّاء (جبـال). (٥) الجَمْعَا.(٦) الجَـوْف (جبال) . (٧) الحَرْشَا(٨)الخَضْـرَّة (جبال). (٩) سَـمْنَان.(١٠) الشَّـاهقة (جبال) . (١١) شـعْب عَجْرُود. (١٢) صَـعيب . (١٣) الظُّور . (١٤) ظَوْر الطَّحين . (١٥) الظَّيرَان (جبَال) .(١٦) العَزيزَة . (١٧) غُرَيْرَان. (١٨) القُشُـوع (جبال) .(١٩) قُنَّة الخَنَق .(٢٠) المُسْتَظلّ.(٢١) المشْط.(٢٢) نيس . (٢٣) هرمان.(٢٤) هَرْمة (٢٥) الواته .واودينها: (١) الأَبْيَض(لَبْيَض).(٢) الجَوْف. (٣) الحَذْيان. (٤) خَبَار .(٥) الخَنَق .(٦) الرَّمْرَام.(٧) الشرمات .(٨) الشِّيق.(٩) صَـرَايم السُّفلى.(١٠) صَـرَايم العُليا.(١١) الطَّلْحَة. (١٢) عُنْقَة .(١٣) مَخْبَأ .(١٤) مُدْعـج .(١٥) المَديد .(١٦) المشـقوق .(١٧) مَـلاَح . (١٨) مَلَحة . (١٩) مَنْع .(٢٠) نَوَّر. (٢١) نيَام .(٢٢) الهَجْلَة .(٢٣) وَطَاط .

٣ـ قبيلة آل مُسْتَنير :

تنقسم هذه القبيلة إلى قسمين، أحدهما في شمال بلاد رُفيدة، والآخر في تَنْدحة بمحافظة خميس مشيط، بجوار آل الزلال وآل حجّاج. وقراها: (١) آل جبْعَان وآل عَرْفج (تَندحة). (٢) آل حَمَد (تندحة). (٣) آل دُرَيْم (تندحة). (٤) آل دُودَم (تندحة). (٥) آل شَايع (تندحة). (٦) آل غُضَيْف (المديد) في بلاد آل رُشَيْد شهران. (٧) آل مَانع (تندحة). (٨) آل مُتْعب (تندحة). (٩) آل مستنير (الثِّنْيَة) تندحة. (١٠) الجَازع (تندحة). (١١) الحَرْف (تندحة). (١٢) الرُّوغ (أحد رُفيدة). (١٣) مُسَيْحِل (أحد رُفَيْدة). (١٤) الوطن (تندحة). وجبالها: (١) مانع، في تندحة. (٢) المُعْتَرِضَة، في تندحة. ومن أوديتها: (١) بيشة. (٢) تندحة.

٤ـ قبيلة إلْحَاف :

تقع بلادها في الجنوب الغربي من بلاد رفيدة (ومن المحافظة)، وتمتد في تهامة وحدودها كما يلي: الشمال: بلاد قبيلة آل الجَحَل. والجنوب: تهامة. والشرق: بلاد قبيلة جارمة. والغرب: مركز الشعف. ومن قراها الرئيسية: (١) آل بَحَّاث. (٢) آل بِشْر. (٣) آل حُدَيْلَة. (٤) آل حلامي. (٥) آل الدَّمَّام. (٦) آل زَقُّوم. (٧) آل السِّرّ. (٨) آل سرْحَان. (٩) آل الشَّاعر. (١٠) آل عَامر. (١١) آل عبد الله (بنو وهب). (١٢) آل عَلي (تَمْنية). (١٣) آل مَانع (بنو وهَب). (١٤) آل مبَايع (آل حلامي). (١٥) أسَدَة (آل حلامي). (١٦) البَطْحَاء. (١٧) البَطْحَاء (بنو مُلَيْك/ تهامة). (١٨) الجَازع (بنو وَهْب). (١٩) الحبَلَة (بنو مُلَيْك). (٢٠) الحَرْف (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢١) خَبَارة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٢) الدَّبْدَبة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٣) رجْم (آل جَليحة/ تهامة). (٢٤) رَيْدَة (آل جَليحة / تهامة). (٢٥) السَّاقط (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٦) السَّلَعَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٧) الشَّطّ (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٨) الشِّلَّة (آل جَليحة). (٢٩) صُفْحَان (آل حلامي). (٣٠) الصَّمَخيَّة. (٣١) الطَّحَّالة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٢) طَوْر الشَّبَارَق (آل جَليحة). (٣٣) العَرْضَاء (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٤) العُقَالَة. (٣٥) الغَاوية (آل جَليحة). (٣٦) الغُولَة (آل جَليحَة). (٣٧) الفَرْضاء (بنو مُلَيْك/ تهامة). (٣٨) قَاعَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٩) القَرْن (تَمْنيَة). (٤٠) القَرية (آل عَيّ) (بنو وَهْب). (٤١) قرية الملك فيصل الخيرية (بنو مُلَيْك). (٤٢) القَعْمَة (آل لُوط). (٤٣) اللَّحْج (اللَّحْي). (٤٤) المَثْنَاة. (٤٥) المَخْلُوطة (بنو وَهْب). (٤٦) المَدَار (بنو مُلَيْك / تهامة). (٤٧) المَرْبَع (آل لُوط). (٤٨) المَرَّة (آل جَليحَة / تهامة). (٤٩) المَعْرَس (تَمْنيَة). (٥٠) المَعْمَلَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٥١) مكْدَاس (بنو مُلَيْك / تهامة). (٥٢) المَنَاقع. (٥٣) مُوغط (آل جَلِيحَة). (٥٤) المِيرَاد (آل جَلِيحَة). (٥٥) هَيْمَان (آل جَليحَة). (٥٦) الوَسَط

(بنـو وَهْب) . (٥٧) يَطَا (بنو مُلَيْك/ تهامة) . ومن جبال هذه العشـيرة: (١) الأحمر . (٢) الأَصَـاد (لَصَـاد) .(٣) الثَّافِرَة . (٤) الحمايط (جبال). (٥)حارث (تهامة . (٦) خَلي وُعْلي .(٧) الرَّواكب .(٨) الرِّيَاح .(٩) الزِّبَر . (١٠) السَّادَّة.(١١) السِّرَاط .(١٢) الصّـاقعة .(١٣) الصَّـحن .(١٤) الصَّعيدة (الصَّـعيدات) .(١٥) الصِّفَاح . (١٦) صُـفْحَان . (١٧) الصَّفيح .(١٨) الطَّارِف .(١٩) الظَّهَار . (٢٠) عَبْثَان .(٢١) العَريض (٢٢) العُقَيِّرة (جبال) .(٢٣) العَيْن (جبال) .(٢٤) عَيْن أبي محمد (جبال) . (٢٥) عَيْنُ الدَّاخُول. (٢٦) عَيْنُ العَريف.(٢٧) عَيْن العنْبَة (جبال) .(٢٨) عَيْنُ النَّضَاف .(٢٩) اشـيَة.(٣٠) الغُرَابَات . (٣١) قَرْبع. (٣٢) القَمَع .(٣٣) القَهْرَة .(٣٤) الكَرَّار . (٣٥) الكُرَاع .(٣٦) اللَّحْج (اللَّحي) . (٣٧) المَرْبَع .(٣٨) مُرْشـد . (٣٩) المَسْكُونَة . (٤٠) مطرف .(٤١)- المعْيَن .(٤٢) مُهَلْهل . (٤٣) يَمَامَة . وأهمَ أوديتها : (١) الأَصَاد (لَصَـاد) .(٢) بَلْعَرَّاص .(٣)الجو (تهامة) .(٤) الحُوَيْب.(٥) ذهْب (تهامة) . (٦) رَدُوم (تهامة) (٧) الصَّـعيدة . (٨) العَرْضَـاء (تهامة) .(٩) العُقَيِّرَة . (١٠) القَرْن (تهامة) . (١١) اللَّحج (اللَّحي) . (١٢) المَخَش. (١٣) المَرْبع .(١٤) المَسْكُونَة. (١٥) الملاح . (١٦) مُوغط (تهامة) . (١٧) الوَادِيَيْن . (١٨) الوَسَط .

٥- قبيلة جَارِمَة :

تقـع بلادهـا في جنوب بلادِ رُفَيْـدة (وجنـوب المحافظة) في مناطق الشّـعَاف المطلـة علـى تهامـة، وتمتد شـمالاً إلى جنـوب مدينـة أحد رُفَيْـدة، كما تمتـد بلادها في تهامـة، ولهـم قرى في بلاد قبيلـة آل الشَّـواط . وحدودها كما يلي : الشَّـمال : بلاد قبيلـة ذُعَـيّ، وبلاد قبيلة آل الشُّـوَاط . والجنوب : تهامة . والشّـرق : بلاد قبيلة سـراة عبيـدة (جـوف آل معمّر والوهّابـة) . و الغَرْب : بلاد قبيلة الحاف . وقراها الرئيسـية هـي : (١) آل حَمْريـر .(٢) آل دَلْهَـم (لَجْـوَان) .(٣) آل رَاقـع . (٤) آل رُمَيْـح (الفَرَعَيْن) . (٥) آل سَـلَمة (لَجْوَان) .(٦) آل الشـيخ. (٧) آل عُرَيْنَة. (٨) آل غَيْلان (لَجْـوَان) .(٩) آل لَغْـر . (١٠) آل نَـادر (الفَرَعـين) . (١١) جَارمَـة الجَوف .(١٢) الجُمْعَة .(١٣) الدَّرْبَيْن .(١٤) سرُّ ذيَاب . (١٥) عَرَاب (شعف جارمة) .(١٦) عَرَاب آل هـلال (تهامة، علـى وادي عتَود) . (١٧) عُنْقُرَة .(١٨) القَرْحاء . (١٩) المَضـيق . (٢٠) النَّمَصَة (لَجْوَان) .(٢١) وادي زَيْد (لَجْوَان) . ومن جبالها : (١) الأَشْقَرَ .(٢) الأَعْبَل (لَعْبَل) . (٣) الأَنْصَـب (لَنْصَـب) .(٤) الرَّكيـب .(٥) الرُّونَة (جبال) .(٦) سَاق غَزَال .(٧) الصُّوح (جبال) . (٨) عَان سَالم .(٩) العَرَايش (جبال / بين عُنْقرَة والمربـع) .(١٠) عُـرْوَة .(١١) عُنْقَرة (جبال) .(١٢) الغُـبْرَ (جبال) .وأهم أوديتها : (١) بِيشَة . (٢) الجَوْف . (٣) عُنْقرة .(٤) المَرْبَع . (٥) نوم .(٦) وَاظ .

٦ـ قبيلة خَطّاب :

تقع بلادها في الجنوب الشرقي من بلاد رُفَيْدة، وتمتد في الفَرعَيْن شمالاً. وحدودها كما يلي :الشَّمَال : بلاد قبيلة جَارمَة .والجنوب : بلاد قبيلة بني بِشْر، وبلاد قبيلة وَقَشَة .والشَّرق : بلاد قبيلة جَارمَة، وقبيلة آل الشَّوَاط . والغرب : بلاد قبيلة جَارمَة . وقراها : (١) آل الدَّاحس .(٢) آل زُهَيْر .(٣) آل السِّوَّاد. (٤) آل عَضْبَاء .(٥) آل عَمْرَة . ومن جبالها : (١) الشَّنّ .(٢) المَعْقَل . ومن أوديتها : (١) آل السِّوَّاد . (٢)آل عَمْرَة .(٣) الشِّيق .(٤) عَجْمَة آل الدّاحس .

٧- قبيلة ذُعَيّ :

تقع بلادها في شمال بلاد رُفَيْدة، وتتمركز في مدينة أحد رُفَيْدة من الجهات الثلاث : الشَّمَال، والجنوب، والغرب . وحدودها كما يلي : الشَّمَال : بلاد قبيلة آل رُشَيْد (شهران). والجنوب : بلاد قبيلة جَارمة .والشرق : بلاد قبيلة بني قَيْس .والغرب : بلاد قبيلة آل الجَحَل . وأهم قراها : (١) آل بُوعُوه (عوف) (٢) آل شبْشَب .(٣) آل عَدَّا .(٤) آل عَنْقَة . (٥) آل قرْواش . (٦) آل قُفَيْع .(٧) آل قيشَة (المعْزَاب سابقاً) .(٨) آل كَمَاه. (٩) آل لَجْهَر. (١٠)آل المَاشي .(١١) آل مُخْرِب .(١٢) آل وَحْش . (١٣) بَنُوتَميم.(١٤) الثَّغر. (١٥) الرُّوغ. (١٦) سُحَامَة . (١٧) السُّوق . (١٨) صَفْوان . (١٩) عِرْق بَلْحنًّا .(٢٠) القَوايا . (٢١) المَحْوي (الحُوزَة). (٢٢) المَرَاغة .(٢٣) مُسَيْحل. (٢٤) المَعْلاة (الزُّوَيْرَاء سابقاً) وهي التي يقال لها (الكامل) . ومن جبالها : (١) أبوخَيَّال.(٢) أبو عَوْشَزَة . (٣) أبُوهَلاَّن . (٤) الأغْبَر . (٥) أم جَالح (مجالح) (ثلاثة جبال). (٦) بُو ميبَار (نسبة إلى حيوان الوَبْر، لكثرته في الجبل) . (٧) شَكر (شمال ضَمَك). (٨) الصُّوح (جبال).(٩) ضَمَك .(١٠) ظور المَرْوي .(١١) القَعُود . (١٢) القَهَرة .(١٣) قَهَرَة بني تميم . (١٤) القيسَان (جَبَلان) . (١٥) مَشَبُّ النّار (تُوقد النّار في أعلاه للاستصراخ بقبائل رُفَيْدة). (١٦) المُنْقَطعَة.(١٧) هضبة أم الحنْشَان . ومن أوديتها : (١) بيشَة .(٢) الدَّاخُول.(٣) الصَّفْق .(٤) المَخْش (القريَّة) .(٥) المَقْطَع . (٦) المَنْجُور .

٨- قبيلة قَيْس (بنو قيس) :

تقع بلادها في شمال بلاد رُفَيْدة، إلى الشرق من وادي بيشة، وهي متصلة ببلاد قبيلة ذُعَيّ.وحدودها كما يلي :الشَّمَال : بلاد قبيلة آل مُسْتَنير، وقبيلة آل الشَّوَاط . والجنوب : بلاد قبيلة ذُعَيّ، وقبيلة خَطّاب .والشَّرق : بلاد قبيلة آل الشَّوَاط . والغرب: بلاد قبيلة ذُعَيّ .وقراها : (١)- الحظيرة .(٢) دَرْب العقيدة (ابن العُقَيْدَة) . (٣) الرَّبَّة . (٤) القَابل . (٥) مَداحن . ومن جبالها: (١) حَمُومَة .(٢)سَمْنَان . (٣) الصُّوح(جبال) . (٤) الكَرَّار .(٥) هضبة شَفيع . ومن أهم ودينها وادي عُنْقَة .

٩: قبيلة وَقَشَة :

تقع بلادها في الجنوب الشرقي من بلاد رُفَيْدة، وتقع في نطاق محافظة سراة عَبيدة .وحدودها كما يلي : الشَّمَال : قبيلة آل معمّر (من عبيدة)، وقبيلة آل الشّواط .والجنوب : قبيلة بني بشر .والشرق : قبيلتا آل الصقر، وآل معمّر (من عبيدة) . والغرب : قبيلتا آل الشُّواط، وخطّاب . وقراها: (١) آل بيحَبيب .(٢) آل بَلْحَي . (٣) آل خُزَيْم . (٤) آل عَلْوَان .(٥) آل القَضَف .(٦) الجزْعَة . (٧) الحُرْقَان . (٨) الخُمْرَة .(٩) السُّرَّة . (١٠) العيص. (١١) القَرْن. (١٢) المَصْياد . ومن جبالها : (١) الحاجب .(٢) ظَلَم .(٣) الظَّاهر . (٤) القَرْن . ومن أودَيتها : (١) آل بَلْحَي . (٢) حَارِث .(٣) الحَنْجُور . (٤) السِّرَ . (٥) السَّرَوي .(٦) الغَرْس .(٧) المَنْشَر .

رابعاً: الحياة الدينية في بلاد رفيدة قبل الإسلام :

يرتبط الحديث عن الحياة الدينية في بلاد رفيدة بمدينة جُرَش، فهي حاضرة بلاد رفيدة، وقد كان أهل جُرَش قبل الإسلام من عبدة الأوثان، مثلهم في ذلك مثل الكثير من القبائل العربية حينذاك .وكان لهم الصنم المعروف باسم (يَغُوث) .(وهو من الغُوَاث : الإغاثة . وغَوَّث الرجل، واستغاث :صاح واغَوثاه، والاسم : الغَوْث والغُوات والغَوَاث .وأغاثه الله، وغاثَه غوثاً وغياثاً، والأولى أعلى : أجاب الله غوثاه . ويَغُوث : صنم كان لمذحج) [١] .وجاء ذكر (يَغُوث) في قول الله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٢]. وذهب كثير من المفسرين إلى أنّ صنم يغوث لمَذحج . قال ابن كثير في تفسيره :"وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دونَ الله قال البخاري : حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أمّا وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل : وأمّا سُواع فكانت لهذيل، وأما يَغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، أمّا يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع"[٣]. وقال القرطبي : " وأما يغوثُ فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ، في قول قتادة. وقال المهدوي : لمراد ثم لغطفان . الثعلبي : وأخذت أعلى وأنعم وأهل جُرش من مَذحج يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً"[٤]. وقال أبو السعود :"انتقلت هذه الأصنام عنهم[٥]. إلى العرب فكان ودّ لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث

(١) اللسان (غوث) .
(٢) سورة نوح، آية : ٢٣ .
(٣) تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص٤٢٦ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن، جـ١٧، ص٣٠٩ . وبمثل قوله قال الشوكاني في فتح القدير، جـ٥، ص٣٦٨ .
(٥) أي قوم نوح عليه السلام .

لمذحج، ويعوق لمراد، ونسر لحمير "[١]. وجاء في كتاب: (الأصنام) لابن الكلبي قوله : (واتخذت مَذحِجُ وأهل جُرَش يغوثَ . وقال الشاعر :

وسار بنا يغوثُ إلى مُرادٍ فناجَزْناهُمُ قَبْلَ الصّبَاحِ[٢].

وقال في موضع آخر، وهو يتحدث عن استجابة بعض القبائل لعمرو بن لُحَيّ الخزاعي لعبادة الأصنام : " وأجابته مَذْحِجُ . فدفع إلى أنعَم بن عمرو المراديّ يَغُوثَ. وكان بأكمة باليمن، يقال لها مَذْحِجُ، تعبدَه مَذْحِجُ ومن والاها "[٣]. وكان يغوث على صورة أسد[٤]. وكان أيضاً منْ رصاص[٥]. وساق الدكتور مسفر بن سعد الخثعمي خبراً قال فيه : " عُثرَ إلى الشرقَ من مركز العرين أي إلى الشرق من جُرش بحوالى (١٣٥) كيلاً على تمثاَل من الحجر على صورة أسد ويسمى هذا التمثال محلياً باسم ((حجر المرازة))، وقد قام أحد المواطنين قبل عدة سنوات بحمل التمثال من مكانه على أحد الجمال ثم باعه بعد ذلك إلى جهة غير معروفة في مدينة الرياض، وقد أدى هذا إلى نقل الأثر من موقعه وقطع صلته ببيئته الطبيعية التي وجد فيها . والباحث يتساءل هنا عما إذا كان لهذا التمثال علاقة بـ ((يغوث)) معبود أهل جُرش، والذي كان على صورة أسد ؟ "[٦]. ويتفق هذا الخبر مع قول بعض المفسرين بأنّ الصنم على صورة أسد، ويختلف في كونه من الرصاص عند القرطبي، وفي هذا الخبر هو من حجر .

ويقف الدكتور جواد علي عند الصنم (يغوث) وقفة أنقلها على طولها مع حواشيها، فيقول : " وأما يغوث، فكان أيضاً على رواية ابن الكلبي، في جملة الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي على من استجاب إلى دعوته من القبائل، دفعه إلى أنعم بن عمرو المرادي، فوضعه بأكمة مَذحج باليمن، فعبدته مذحج ومن والاها وأهل جُرَش[٧]. وقد بقي في أنعم إلى أن قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد، فهربوا به إلى نجران، فأقروه عند بني النار من الضباب، من بني الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعاً[٨]. وفي رواية أن

---

(١) تفسير أبي السعود، جـ٥، ص٧٧٤ . وقال بمثله فخر الدين الرازي في التفسير الكبير، جـ١٥، ص١٤٤. والزمخشري في الكشاف، جـ٤، ص١٦٤ .

(٢) ص١٠ .

(٣) ص٥٧ .

(٤) الكشاف، الزمخشري، جـ٤، ص١٦٤ . التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، جـ١٥، ص١٤٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ١٧، ص٣٠٩ .

(٦) موسوعة الآثار والتراث في منطقة عسير، حـ٦ (أحد رفيدة) ص٣١ .

(٧) الأصنام (١٠، ٥٧)، اللسان (٢/٤٨٠) (غوث) تاج العرس (١/٣٣٧) (غوث) . البلدان (٨/٥١١) (يغوث) الروض الأنف (١/٦٣) سبائك الذهب (١٠٤)، بلوغ الأرب (٢/٢٠١) القاموس (١/ ١٧١)، روح المعاني (٢٩/٧٧ وما بعدها) . تفسير البيضاوي (١ / ٢٣٩) .

(٨) المحبر (٣١٧) .

عبدة يغوث هم بنو غطيف من مراد[١]. وفي رواية أن يغوث بقي في أنعم وأعلى من مراد، إلى أن اجتمع أشـراف مراد وتشاوروا بينهم في أمر الصنم، فقر رأيهم أن يكون فيهم، لما فيهم من العدد والشرف. فبلغ ذلك من أمرهم في أعلى وأنعم، فحملوا يغوث وهربوا به حتى وضـعوه في بني الحارث بن كعب، في وقـت كان النـزاع فيه قائماً بين مراد وبني الحارث بن كعب، فلما أبت بنو الحارث تسـليم الصـنم إلى مراد، وتسوية أمر الديات، أرسلت عليها مراد جيشاً فاستنجدت بنو الحارث بهمدان، فنشبت بينهما معركة عرفت بيـوم الرزم، انهزمـت فيها مراد ومنيت بخسـارة كبيرة قبيحة، وبقي الصـنم في بني الحارث. وقد وافق يوم الرزم يوم بدر[٢].

وذكر (الطبرسـي) أن بطنين من طييء أخذوا يغوث، فذهبا به إلى مراد، فعبدوه زماناً، ثم أن بني ناجية أرادوا أن ينـزعوه منهم، ففروا به إلى بني الحارث بن كعب[٣]. ويظهر من غربلة هذه الروايات أن الصنم يغوث كان في جُرَش أو على مرتفع قريب من هذه المدينة. أما سدنته، فكانوا من بني أنعم بن أعلى من طييء، وكانوا في جُرَش. وفي حوالي سـنة (٦٢٣م)، أي السـنة التي وقعت فيها معركة بدر، حدث نزاع على الصـنم: أراد بنو مراد أن يكون الصـنم فيهم وسـدانته لهم، وأراد بنو أنعم الاحتفاظ بحقهم فيـه. فهرب بنو أنعم بصـنمهم إلى بني الحارث، واحتفظوا به بعـد أن وقعت الهزيمة في مـراد[٤]. وفي الحرب التـي وقعت بين (بني أنعم) و (غطيـف) حمل عبدة (يغوث) صنمهم معهم وحاربوا، مستمدين منه العون والمدد. وفي ذلك يقول الشاعر:

وسـار بـنـا يـغـوث إلى مـراد   فـنـاجـزنـاهـم قبـل الـصـبـاح[٥].

ويظهـر أن (بنـي أنعـم)، وسـائر عبـدة هـذا الصـنم، كانـوا يحملون صـنمهم معهـم في غالـب الأحـوال عنـد قتالهـم القبائـل الأخـرى[٦]. ولا يسـتبعد أن تكـون لاسـم هـذا الصـنم علاقة بفكـرة المتعبدين لـه عنـه، بمعنـى أن المتعبدين لـه كانوا يـرون أن يغيثهـم ويسـاعدهم. وقـد ظـن بعض الباحثـين أنـه يمثـل الإله الأسـد. وأنـه كان (طوطـم) قبيلـة مذحـج، يدافـع عنهـا ويـذب عـن القبيلـة التي تسـتغيث

---

(١) الطبرسي (٥/٣٦٤)، الكشاف (٤/١٤٣)، تفسير أبي السعود (٥ /١٩٨)، تفسير الخازن (٣١٤)، تفسير ابن كثير (٤/٤٢٦).

(٢) البلدان (٨/٥١١)، (يغوث).
Reste,s.21,A.Fischer,Der Gotze Jaguth,in ZDMG.,BD.,58,s,8 , Leipzig,1904.

(٣) الطبرسي (٥ / ٣٦٤).

(4) Reste,s.21,A.Fischer,Der Gotze Jaguth, in ZDMG., BD., 58,s. Leipzig, 1904 .869

(٥) البلدان (٨ / ٥١١).

(6) Reste, S. 20, Das Botzenbuch, S. 83.

بـه، علـى نحو مـا فعلـه الإسـرائيليون مـن اسـتغاثتهم بـ (حيـة النحاس) المسـماة (نحشـتان) Nehushtan [١]، التـي كانت (طوطماً) في الأصـل على رأي (سـمث) [٢]. ونجد بين أسـماء الجاهليين عدداً من الرجال سـمّوا بـ (عبد يغوث)، منهم من كان في مذحج، ومنهم من كان في قريش، ومنهم من كان في هوازن.

وقد كان قائد بني الحارث بن كعب على تميم في معركة (الكُلاب) عبد يغوث، كما كان لدريد بن الصـمة أخ اسـمه (عبد يغوث). ومن مذحج: (عبد يغوث)، ابن وقاص بـن صـلاءة الحارثي، الذي قتلته (التيم) يوم الكُلاب الثـاني[٣]. ومن بني زهرة: عبد يغوث بن وهب، وعبيد يغوث، وأمهما صـفية بنت هشـام بن عبـد مناف[٤]. ويدل ذلك على أن عبادته كانت معروفة بين مذحج وأهل جُرَش وقريش وهوازن، وقبائل أخرى مثل تغلب[٥]. ولم يرد اسم هذا الصنم في الكتابات[٦]. وقد ذهب (روبرتسن سمث) إلى أنه (يعوش) Ye,ush المذكور في سـفر التكوين، وهو أحد أجداد أدوم[٧]. ويمثله الأسد[٨] في نظر (روبرتسن سمث)[٩].

قلت: يتضـح من جميع ما سـبق أن الصنم يَغُوث كان في جُرَش أو قريباً منها، وأمّا كثرة ورود اسـم القبيلة مَذْحج في الكثير من النصـوص السابقة فمردّ ذلك إلى أنّ أهل جُرَش، وهـم من قبيلة عَنْز بن وائل، ومنها رُفَيْدة، تعود أصـولهم إلى مَذْحج، فالتّحور الجيني (FGC14297) يجمع فروع قبيلة عَنْز ابن وائل (عسـير، أراشـة، رُفَيْدَة) وهذا التّحـور فرع سـبئي مَذْحجيّ (by9). وقد نتسـاءل عن وجود النصـرانية واليهودية في مدينـة جُرَش؟ ونجد ما يفيد وجودهمـا عند البلاذري، وياقوت الحموي، وابن حبيب، في نصٍّ يتحدث عن إسـلام أهل تَبَالة وجرش، وجاء فيـه: "وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً)[١٠]. وذهب غرمان بن عبد الله آل غصّاب إلى وجود ذلك

---

(١) الملوك الثاني، الإصحاح الثامن عشر الآية ٤.

(2) Das Gotzenbuch, S,82, smith, The Rellgion of the seites, London, 1927, P,.277, Journal of Phllo.,Ix, 99

(٣) المحبر (٢٥١)، عبد يغوث بن الحارث بن وقاص، قتل يوم الكُلاب وكان على مذحج يومئذ، الاشتقاق (٢٣٩).

(٤) الاشتقاق (٩٥).

(5) Ency . Religi, I,P. 663.

(6) Ency . Religi, I,P. 663.

(٧) التكوين، الإصحاح ٣٦، الآية ٥، ١٤، ١٨، وأخبار اليوم الأول، الإصحاح الأول، الآية ٢٥.

(8) Robertson, P. 226 .

(٩) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، جـ ٦، ص ٢٦٠.

(١٠) فتوح البلدان، ص ٧٠، معجم البلدان (تبالة). المحّبر، ص ٣١٦

في جُرَش، وساق أدلته هناك[1]. وكان في بلاد قبيلة (وقشة) صنم يُقال له (فَرَّاس) كسره الصحابي ذُبَاب بن الحارث، رضي الله عنه، وهو من سعد العشيرة من مَذْحِج، ثم وفَدَ على سول الله ﷺ[2].

خامساً: الحياة السِّيَاسيَّة في بلاد رُفَيْدَة:

١- صفحات من تاريخ بلاد رفيدة السياسي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث:

تقع بلاد رُفَيْدَة في نطاق سراة عَنْز بن وائل، وتقع هذه السراة في نطاق السروات الممتدة من حاضرة صنعاء حتى الطائف، وقد رسم الهمداني أقسامها، فبلغت عنده (١٨) سراة، ومن ضمن هذه السروات من الجنوب إلى الشَّمَال: سراة جَنب .وسراة عَنْز بن وائل .وسراة الحَجْر[3]. ويُعَدُّ الهمداني - فيما أعلم - صاحب السبق في تحديد أجزاء السروات وسكانها من عدن إلى الطائف . أما السروات من الطائف إلى عسير، فقد ذكرها حمد الجاسر، في ضوء كلام الهمداني، مع بعض التحديد المعاصر لهذه السروات[4].

وكتب الدكتور غيثان بن علي بن جريس صورة أشمل وأوضح عن السروات التي ذكرها الهمداني، ثم الجاسر، ولا سيما في العصر الحاضر[5]. ولهذا التقسيم دلالة السيادة القبلية، إذ تحمل كل سراة - في الغالب - اسم القبيلة التي تقطنها، ولا زالت هذه القبائل - في الغالب - في مواضعها حسب كل سراة حتى الآن، ومنها قبيلة رُفَيْدَة، وهي أحد فروع قبيلة عَنْز بن وائل الثلاثة (عسير، أراشة، رفيدة) .وتقع بلاد رُفيدة في الجنوب الشرقي من سراة عَنْز، وتُعدّ رُفَيْدة وأراشة - في عمود النسب - المستوى الأول، فرفيدة في جُرش وما حولها، ثم تمددت أراشة إلى الغرب فالشمال، من تَمْنيَة إلى آل سرحان، ثم بعد ذلك بلاد عسير ابن أراشة حتى أقاصي بلاد عسير على الحدود مع قبيلة بللحمر، التي تمثل بداية سراة الحَجْر . وما يجدر التنبيه عليه هنا، هو صرف النظر عن الحديث في الأمم القديمة[6]. التي قيل بسُكْنَاها في سروات الحجاز، إذ لا علاقة لها - حسب علمي - ببلاد رُفَيْدَة .

(١) مخلاف جُرَش، ص٤٨ .
(٢) بَنُو وقشة (نسباً ومكاناً)، أحمد بن علي مطوان، ص٨، ومصادره هناك .
(٣) صفة جزيرة العرب، ص٩٩ .
(٤) في سراة غامد وزهران، ص٣٥٦ .
(٥) دراسات في تاريخ تهامة والسراة، جـ١، ص١٣٧
(٦) وهي: ثمود، والأنباط، والعماليق، وثابر، وعبد ضخم .

أ ـ العصر الجاهلي :

كان لجميع القبائل التي تقطن السروات (من حدود اليمن المعاصر إلى الطائف) في العصر الجاهلي الاستقلالية المطلقة على أرضها، وكأنها إمارة قائمة بذاتها فكل قبيلة تدير شؤونها بنفسها، وتضطلع بحل مشكلاتها عن طريق زعماء القبيلة أو حُكّامها، ولا تخضع لأي تنظيم سياسي . وربما تفرّعت القبيلة إلى عدة فروع، ولكل فرع سيادة على أرضه، بل يصل الأمر إلى استقلال كل قرية منفردة . ويؤكّد هذا الوضع التراث الأدبي، من النثر، كالقصص، أو من الشِّعر، حيث تظهر فيه قصص الصراعات والولاءات القبلية . ولا تخرج قبيلة رُفَيْدَة – ممثلة في مدينة جُرَش وما حولها – عن هذا الوضع القبلي الذي يمثل السياسة في نطاقها القبلي، وبما في ذلك من أعراف وتقاليد تتشابه مع سواها عند القبائل العربية الأخرى، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولو قيل بأنّ جُرَش كمدينة تجمع بعض العناصر القبلية الأخرى، أو يوجد فيها بعض العناصر التي تعمل في الصناعة ونحو ذلك، باعتبارها من مدن القوافل، وهذا يجعلها في منأى عن السيادة القبلية المطلقة، ولهذا الاعتراض وجاهته إلى حدٍّ ما ؛ إلاّ أنه من المعلوم أن مكة كمدينة أكبر وأعظم من جُرَش، وكانت السيادة فيها في العصر الجاهلي لقبيلة قريش، مع وجود عناصر قبلية أخرى، سواء من القبائل التي كانت لها السيادة قبل قريش، أو من عناصر أخرى طارئة عن طريق الحلف، أو الولاء أو العبودية ونحو ذلك .

ومما يتعلق بالعصر الجاهلي الوجود الحميري في جُرَش، وهو ما سأتحدث عنه في صفحات تالية بعنوان (**الوجود الحميري في جُرش**) . إلاّ أنّ أهم حَدث يدل على الحياة السياسية في بلاد رُفَيْدَة، في جرش ومحيطها، هو ما عُرف في كتب التاريخ والسِّير بالوفود، وأعني بذلك وفود القبائل العربية إلى المدينة المنورة، لتعلن إسلامها بين يدي الرسول ﷺ، وتعطيه الطاعة والولاء، إذ يدل مجيء هذه الوفود القبلية على الحالة السياسية في العصر الجاهلي وبداية العصر النبوي، فيمثل القبيلة زعيمها وبعض مُرافقيه، وقد يكون الوفد تحت رئاسة أحد أعلام تلك القبيلة، وهذا يدل على وجود وحدات سياسية قبلية، ولا تمثل ممالك أو كيانات سياسية .

ب - العصر النبوي :

بدأ الرسول ﷺ بتكوين دولة ذات تنظيمات خاصة منبعثة من أهداف الإسلام ومن الظروف التي كانت تحيط بالرسول ﷺ، وكانت هذه الدولة في بداية الأمر مقصورة على المدينة، ثم امتد سلطانها تدريجيا إلى المناطق المجاورة إلى أن شملت مكة، ثم كافة بلاد الحجاز ومعظم أقاليم الجزيرة، ومن المعلوم أن توسع الدولة الإسلامية

في هـذه البلاد كان يرافق انتشـار الإسـلام، وعـن طريق اتفاقيات وعهـود مع القبائل ورؤسائها أقروا بموجبها الانضمام إلى دولة الإسلام، ويتبين من دراسة هذه الاتفاقيات أن الرسـول اهتم بالدرجة الأولى بنشـر الإسلام وسـلطان دولته، ولذلك لم يهتم كثيراً بفرض تنظيمات إدارية معقدة أو بفرض سلطة سياسية قوية تؤدي إلى تبديل أساسي في الأحوال القائمة، لذلك كانت القبائل والعشائر والقرى كل منها تكون دولة قائمة بذاتها غير خاضـعة لسـلطة عليا خارجية شاملة، وقد راعى الرسول ﷺ هذه الأوضاع عندما ضم هذه البلاد إلى حظيرة الإسلام فلم يفرض عليها مطالب كثيرة أو ثقيلة ولم يطلب منهـا أن تجـري تبديلات أساسـية في تنظيماتها الإدارية وأبقى، فيما يظهر، العشـائر وأقر معظم رؤسـائها القدماء، واكتفى بإرسـال المعلمين والجبـاة، وأبقى لمكة والطائف كيانهما، وعين لكل منهما أميراً، فعين على مكة عتاب بن أسـيد الأموي، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص[١] .وتحفل كتب التاريخ والسِّير بمكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك، وزعماء القبائل، إضـافة إلى ما جاء من أخبار وفود القبائل العربية إلى المدينة المنورة، ومنها وفد (جُرَش) الذي يمثل بلاد رفيدة، وكتب الرسول ﷺ كتاباً لأهل جُرَش، وهذا نصّـه : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لأهل جُرش : إن لهم حماهم الذي أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت، وإنّ زهير بن الحماطة فإن ابنه الذي كان في خثعم ؛ فأمسكوه فإنه عليهم ضامن، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان : وكتب)[٢] . قوله ﷺ (فمن رعاه بغير بساط أهله) البساط : بمعنى الأرض الواسعة فالمعنى فمن رعى حمى أهل جرش، من دون أن يرعى في أرض أهله فماله سحت، فالضمير في أهله راجع إلى الموصول في (فمن رعاه) وتقييد قوله : (فمن رعاه) بقوله : (بغير بسـاط أهله) ضـرب من التأكيد . وبعبارة أخرى: هي بمثابة أن يقال : من تجاوز عن حده ولم يسـتفد مما يجوز له فماله هدر، أي لا ضـمان على من أهلكه . وقوله ﷺ: ((فماله سحت)) أي لا شيء على من أهلكه . وقوله ﷺ : ((وإنّ زهير بن الحماطة)) فالمستفاد منه أنّ ابن زهير ارتكب في خثعم أمراً أوجب الضمان، فضمنه زهير عليهم، فأمـر ﷺ بإمسـاك زهير أخذاً بضـمانه لجريرة ابنه، ولا بد من تقدير الضـمير قبل الذي، والجملة خبر لأنّ الأولى، أي أن زهيراً فإن ابنه هو الذي كان في خثعم، فكأنّه أراد تعيين مرتكب الجريرة، ثم بيّن الحكم بقوله ﷺ : (فأمسكوه) أي زهيراً، وقوله ﷺ : (فإنّه عليهم ضـامن) تعليل للحكم[٣] . وكتب ﷺ لأهل جُرش كتاباً بشأن خلط الزبيب والتمـر ؛ فعن ابن عباس، أن رسـول الله ﷺ كتب إلى أهـل جُرش، ينهاهم أن يخلطوا

---

(١) الحجاز في صدر الإسلام، صالح العلي، ص٢٨٠ .

(٢) اللسـان (سحت) . مكاتيب الرسول ﷺ، علي بن حسين علي الأحمدي، جـ٢، ص٣٦٨ . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ص٢٨٩ .

(٣) مكاتيب الرسول ﷺ، علي الأحمدي، جـ٢، ص٣٦٨ .

الزبيب والتمر(١). ولم يروه بنصه أي نص الكتاب. ومن وُلاة جُرَش بعد فتحها في السنة العاشرة للهجرة صُرَد بن عبد الله الأزدي(٢). وقيل ولّي على جرش وبحرها سعيد بن القِشْب الأزدي (حليف بني عبد مناف) (٣).

ج - عصر الخلافة الراشدة (١١ - ٤١هـ/٦٣١-٦٦١م).

يُعدُّ عصر الخلافة الراشدة امتداداً للعصر النبوي، فقد لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وأصبحت مناطق السروات. ومن ضمنها بلاد رفيدة. بلاداً إسلامية، فقد كانت جُرَش تحت ولاية صُرَد بن عبد الله الأزدي(٤). وقيل: وَلي عليها للنبي ﷺ سعيد بن القِشْب الأزدي (حليف بني عبد مناف) (٥). وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه بعث عبد الله بن ثور (أحد بني الغوث) عاملاً له على جُرَش(٦). وتصمت المصادر - حسب علمي - عن ولاية جُرَش طيلة عهود بقية الخلفاء الراشدين (عمر، وعثمان، وعلي) رضي الله عنهم، وهو نفس الحال لبقية مناطق السروات، فقد تم التركيز على ولايات: مكة والطائف، والمدينة، ونجران، واليمن، وحضرموت. إلاّ أنّ مناطق السروات كانت تابعة لولاية مكة. ولعل من أسباب هذا الصمت ما يلي: (١) عزلة هذه المناطق جغرافياً، مما أدى إلى إدارة القبائل لشؤونها ضمن حدود كل قبيلة. (٢) إنشغال الدولة الإسلامية المركزية بالأحداث العظام، مثل: الردّة، والفتوحات الإسلامية، التي استأثرت بجهود الدولة. (٣) أحداث الفتن في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، وذهاب علي إلى الكوفة، مما أحدث فراغاً إدارياً في هذه المناطق المنعزلة، التي لا تمثل دوراً محورياً في الفتنة التي جرت أحداثها في مناطق بعيدة عنها.

د- عصر الدولة الأموية (٤٢ - ١٣٢ هـ):

لا تختلف ولاية البلدان في العصر الأموي عن عصر الخلافة الراشدة، إذ نجد أن بلدان السروات الواقعة بعد الطائف حتى منطقة عسير تابعة لولاية مكة أو الطائف، وهو ما تدلّ عليه الكثير من كتب التاريخ(٧). إلاّ أننا لا نجد تفصيلات بشكل

(١) صحيح مسلم، الحديث رقم (١٩٩٠) المسند، أحمد بن حنبل، جـ١، ص٢٢٤.
(٢) الإصابة، ابن حجر، جـ٣، ص٤٢١. الطبقات، ابن سعد، جـ٥، ص٥٢٧.
(٣) الإصابة، جـ٣، ص١١٥. تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧.
(٤) الإصابة، ابن حجر، جـ٣، ص٤٢١. الطبقات، ابن سعد، جـ٥، ص٥٢٧.
(٥) الإصابة، جـ٣، ص١١٥. تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧.
(٦) تاريخ الطبري، جـ٣، ص٤٢٧.
(٧) شفاء الغرام، الفاسي، جـ٢، ص١٦٦، ص١٧٤. تاريخ الطبري، جـ٥، ص٢٩٦. جـ٦، ص١٩٢، ص٢٠٢، ص٦٢٠، ص٢٢٦. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص١٧٤، ص٢٤٦، ص٢٦٨، ص٤٨١. البداية والنهاية، جـ٩، ص٢٠٧. بلاد السراة في العصر الأموي، د. غيثان بن جريس، ص١٠٠ وما بعدها.

مباشـر عن ولاية (جُرَش) في هذا العصـر، فالمعلومات شحيحة إلى أقصى حدّ. ومما نسـتدل بـه على كَوْن جُرش ولاية أموية هو تولية محمود بـن لبيد على جُرش، حيث ولّاه عليها يحيى بن الحكم، والي مكة(١). وقد نستأنس ببعض الأحداث التي لا تتعلق بجُرَش بشـكل مباشـر، ومنها ولاية الحجاج بن يوسـف الثقفي على تَبَالة، ولم يباشر أعمالها، حيث استصغر شأنها فانصرف عنها(٢)، وبما أنّ تبالة أصغر من جُرَش فلا بُدّ أنه كان لجُرَش والياً، وهذا من قبيل المقارنة والمقاربة فحسب.

ومـن ذلك ما جاء في خبر العُجَيْر السـلولي في عهـد الخليفة عبد الملك بن مروان، فعلى أثر اتصـاله بالخليفة استحدث بنو أمية الضّياع والمزارع في قرية المعمل في بيشة، وجلبـوا لها العبيـد(٣). وهذا يدل على وجود ولاية في بيشـة، وقد يُفيـد هذا وجود ولاية في جُرش. وفي سـنة(٧٣هـ/٦٩٢م) تولّى الحجاج بن يوسـف الثقفي على (مكة واليمن واليمامة) جميعاً(٤)، ولا ريب أن جُرش ضمن هذه الولاية، فهي تتبع مكة، ومما يدل على تبعيتها لمكة – في العصـر الأموي – ما جاء في قصـة الشـاعر جعفر بن عُلبة الحارثي، فبعد يوم (سَـحْبل) أخـذ جعفر وثلاثة من بني الحارث من نجران إلى مكة، فحبسـوا بها، ثم قتلوا سـنة (١٢٠هـ/٧٣٧م) عدا واحد منهم فرّ من السـجن(٥)، وهذا يدل على تبعية نجران لولاية مكة، وبما أن جُرَش دونها إلى جهة مكة، فمن المعقول أن تكون تابعة لولاية مكة.

ويظهر اسـم (جُرَش) في أواخر العصـر الأموي، وذلك في ثورة عبد الله بن يحيى الكندي، الملقب بطالب الحق، وبلقب الأعور في حضـرموت، وكانت بداية الثورة في سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م)، وانتهت بمقتله سـنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) في جُرَش، على يد ابن عطية السـعدي، قائـد الجيش الأمـوي. وقد ذُكرت جُرَش وتَبَالة ضـمن أحـداث ثورة طالب الحق في تاريخ خليفة بن خياط، كما ذُكرتَ جرش عند المسـعودي، وغاب ذكرهما عند الطـبري(٦). وعلى الإجمال فـإن جُرَش كانت ذات ولاية تابعـة لولاية مكة، كغيرها من بلـدان السـروات الواقعـة إلى الجنوب من الطائـف، إلاّ أنّ أهميتهـا لا ترقى إلى كونها ولايـة عظيمة لهـا خطرها، وإنما تعود قوتهـا إلى الانتماء القبلي والسـيادة لقبيلة عَنْز

---

(١) الطبقات، ابن سعد، جـ٤، ص١١٠.
(٢) الأغاني، جـ١٣، ص٥٨. معجم البلدان (تَبَالة).
(٣) معجم البلدان (تبالة).
(٤) تاريخ الطبري، جـ٦، ص١٩٤.
(٥) الأغـاني، جـ١٣، ص٥٠. القـول المكتوب، غيثان بن جريس، جـ١٠، ص٤٠. شـعر قبيلة مذحج، محمد آل مبارك، جـ٣، ص١٢٠٩.
(٦) تاريخ الطبري، جـ٧، ص٣٤٨. تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٩٤. مروج الذهب، المسعودي، جـ٣، ص٢٥٨. في سراة غامد وزهران، الجاسر، ص٣٠٨. دراسات في تاريخ تهامة والسراة، غيثان بن جريس، جـ٢، ص٤٤٠.

ابـن وائل في محيـط بلاد الفروع المنتمية إلى عَنْز، وضـمن سـراتها، وليس أبعد من ذلك. ولعل من أسباب تدني الأهمية السياسية لمدينة جُرَش ومحيطها ما يلي: (أ) البعد الجغرافي لمركز الخلافة في دمشـق . (ب) أحداث الثورات في مكة، والعراق، والشـام . (ج) الفتوحات الإسلامية التي استأثرت بجهود الدولة الأموية .

هـ- عصر الدولة العباسية (١٣٢ – ٦٥٦هـ / ٧٤٩-١٢٥٨م) :

بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسـيين، صار اهتمام الخليفة سواء في دمشق أو بغداد، أن يولي أمراء من قبله على المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية، كمكة المكرمة، أو المدينة، وربما جُمعت المدينتان تحـت إمرة والٍ واحـد، وأحياناً تجمع اليمامة والحجاز واليمـن تحت إمرة والٍ من ولاة الخليفـة تكون إقامتـه في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، يشـرف علـى الجباة ومراقبة السـوق، وحماية البضائع من السـرقة، وما عدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافهـا تترك لزعماء القبائل الذين يعدون المسـؤولين – عرفيـاً – عن إدارة البلاد وتنظيم أمورها . ومنذ بداية القرن الثالث الهجري، بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسـية، وبخاصـة بعد الحرب الأهليـة التي وقعت بين الأخوين الأمـين والمأمون منذ عـام (١٩٣ – ١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٣م) الأمر الذي أدى إلى ظهـور الخارجين والثائرين على الخلافة في أجزاء عديدة من البلاد[١]. ومن يقارن أوضـاع عسـير – ومنها جُرَش – الإدارية والسياسـية في عهد الخلفاء الراشدين، بما حصل في عهدي خلفاء بني أمية وبني العباس، فإنه يجد أوضـاعها في عهد الخلفاء الراشـدين أفضل وأقوى لقربها من عاصـمة الخلافة الإسـلامية في المدينة، وكذلك قربها من عصـر الرسـول ﷺ . أما أحوالها في عصـور بني أمية وبني العباس، فقد أصـبحت جزءاً من ولاية الحجاز التي صـارت مليئة بالفتن والثورات، ضـد الخلفاء الأمويين والعباسـيين، بل أصبحت عسير وعمـوم بلاد جنوب الجزيرة العربية ميداناً للثورات السياسـية والمذهبية، كما صـارت بيئة مناسـبة للنـزاعات والصراعات القبلية المتنوعة[٢]. وبناء على كلام الدكتور غيثان بن جريس الرائع، فإنّه يمكن تأسـيس الحياة السياسـية في جُرَش – بلاد رفيدة – على محورين، وهما : إدارة الدولة . وإدارة القبائل .

١ : إدارة الدولة :

حينما بويع أبي العباس السفاح بالخلافة عام (١٣٢هـ/٧٤٩م) أوكل إلى عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس سـنة (١٣٣هــ/٧٥٠م) إدارة الحجاز واليمن مكافأة له

---

(١) تاريخ مخلاف جُرَش، غيثان بن جريس، ضمن كتابه: (دراسات في تاريخ تهامة والسراة)، جـ٢، ص١٠٦ .

(٢) دراسات في تاريخ تهامة والسراة، غيثان بن جُرَيس، جـ٢، ص٢٨١ .

على ما قام به من جهد أثناء قيام الدولة العباسية، وكان مقر إقامته في المدينة المنورة، ويماثل هذا الموقف موقف الحجاج أيام عبد الملك بن مروان(١). ولا شك أن جُرَش ضمن ولايات الحجاز. وجرى بعد ذلك فصل اليمن عن ولايات الحجاز، وفي بعض الأحيان تجمع بعض الولايات لوال واحد، مثل: (أ) المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة (لوال واحد). (ب) المدينة، ومكة، والطائف (لوال واحد). (ج) مكة، والطائف (لوال واحد).

وجرى - أيضاً - اختصاص كل مدينة بوال واحد، فللمدينة المنورة وال، ولمكة وال، وهكذا(٢). وبما أن جُرش من ولايات مكة، فستكون — ضمناً — من هذه الولايات، إلاّ أنه لم يُصرّح باسمها. وفي سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) تمت تولية حماد البربري على مكة واليمن، وفي سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) كانت ولاية الحسن بن سهل على اليمن والحجاز(٣). ويتكرر عدم ذكر اسم جُرَش أيضاً. وفي قصة الشاعر ابن الدّمينة الخثعمي (ت ما بين ١٨٠ـ١٨٣هـ) ما يُفيد وجود ولاية في بيشة أو تَبالة، فقد ارتكب جناية أوجبت الاستعداء عليه إلى والي مكة أحمد بن إسماعيل من قبل الرشيد، فسجنه ثم خَلاّه(٤)، وهذا يدل على تبعية بيشة وتَبالة لولاية مكة، وجُرَش قَريبة من هذين الموضعين إلى حدٍّ أرى معه أن لجرش ولاية تابعة لمكة أيضاً.

ومثل هذه المقارنة التي تتعلق ببيشة، وهي من ضمن أعمال مكة وأحد مخاليفها(٥)، وجود دار لسك النقود في بيشة، وقد سُكّ فيها الدرهم العباسي في عهد الرشيد سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م)، والدينار العباسي في عهد المطيع لله سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م)، وآخر سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م)(٦). ولا توجد دار السك إلا في ظل وال على بيشة يتبع مكة، فهل لجُرش وال أيضاً؟ ربما؛ فقد ذكر الهَمْداني (ق٤هـ/١٠م) وهو يتحدث عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق العوسجي، وهو معاصر للهمداني، وكانت بين العوسجي وبين قبيلة عَنْز خلافات وصراعات، وكانت عَنْز قد استولت على مسجد للعوسجي، فأنجدته قبيلة سَنْحَان واسترجعت له المسجد، وقبلت (الموصلي) عاملاً لسلطان مكة(٧). فهل كانت جُرَش ولاية بالفعل يديرها عامل لسلطان مكة، وتقبله قبيلة أخرى لا علاقة لها بالمكان،

(١) تاريخ اليمن، عبد الرحمن الشجاع، ص١٣٣.
(٢) تاريخ الطبري، جـ٧، ص٤٥٩، ٤٩٩، ٥١١، ٥١٤، ٥١٦، ٥٥١، ٦٤٩. جـ٨، ص٤٣، ٢٠٤.
(٣) تاريخ الطبري، جـ٨، ص٢٧٢، ٥٢٧.
(٤) ديوان ابن الدمينة، تحقيق: أحمد النفّاخ، ص٣٤.
(٥) معجم ما استعجم، البكري (بيشة). أخبار مكة، الفاكهي، جـ٥، ص١٠٧.
(٦) التعدين وسك النقود، نايف الشرعان، ص١٦٠.
(٧) الإكليل، جـ٢، ص١٤٣، ص١٤٦.

وهــي قبيلة ســنحان؟ ويحتمل هذا الخبر دلالة الســيادة القبلية أكثر مــن دلالة الولاية للدولة العباسية .

ومما يتصــل بــإدارة الدولــة ما يُســمى (المخاليف)، وقد بَســطتُ القــول فيها في بحثي (المخاليف في معجم البلدان)، وهذا يســتدعي الاختصــار هنا إلى أقصــى حدّ، فأقول : بدأ ذكر المخاليف بشــكل واســع في القرنين الهجريين الثالث والرابع، ومن أهم الجغرافيــينَ والمؤرّخــين الذين وردت المخاليف في كتبهــم : (١) اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) . (٢) ابن خرداذبة (ت نحو ٣٠٠هـ) . (٣) ابن الفقيه (ت بعد ٢٨٩هـ) .(٤) ابن رسته (ت بعد ٢٩٠هـ) . (٥) الهمداني (ت بعد ٣٤٠هـ) .(٦) المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ) .(٧) ابن حوقل (ق٤هـ) . (٨) قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ) .

وهؤلاء – عدا الهَمْداني – على غير صلة مباشرة بمواضع هذه المخاليف، ولم يكونوا مــن أهلهــا، إلاّ ما كان من رحلات بعضــهم إلى الحجاز، وهذه الرحلات ضــمن حدود زمانية ومكانية غير شاملة لكل ما ذكروا من المواضع.

وعلــى العكــس مما ورد عنــد اليعقوبي ومن معه – عدا الهمــداني – نجد المؤرخين المعاصــرين لهــم (ق٣ /٤هــ) يذكرون أســماء البلــدان دون إضــافتها إلى مصــطلح (مخــلاف)، وهــم : (١) الواقــدي (ت ٢٠٧) في كتابــه (المغــازي) .(٢) ابن هشــام (ت نحــو ٢١٧هــ) في كتابه (ســيرة النبي ﷺ) .(٣) ابن ســعد (ت ٢٣٠هـ) في كتابه (الطبقــات الكــبرى) . (٤) خليفة بــن خيّاط (ت ٢٤٠هـ) في كتابيــه (تاريخ خليفة) و (الطبقات).(٥) الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه.

فلمــاذا غاب مصــطلح (المخلاف) عند هــؤلاء (الواقدي ومن معه) وحضــر عند (اليعقوبــي ومن معه) على الرغم من انتماء الفريقــين إلى القرنين (٣/٤هـ) مع تميز فريق (الواقدي ومن معه) على الفريق الآخر بعدة أمور منها : (أ) يُعْتَبَرُون في الغالب مــن العلماء الثقــات . (ب) عباراتهم أوضــح وأدقّ . (ج) أغلبهم على صــلة مباشــرة بالحجاز أو من ســاكنيه . (د) لكتبهم منهجية واضــحة المعالم، مع الإســناد للنصوص .ويذهــب (اليعقوبــي ومن معه) ثم مــن جاء بعدهم ونقل عنهم، إلى تقســيم المخاليف الحجازيــة، فيقولــون : مخاليــف مكة النجدية، ومخاليــف مكة التهاميــة ؛ فالنجدية : (الطائف، وقَرْن المنازل، والعقيق، وعكاظ، وليّة، وتُرَبَة، وتَبَالة، وبيشة، وكُتّنَة، وجُرَش، ونجران) وغيرها . والتهامية : ضَنْكان، والسِّرَّين، وعشم، وبيش) وغيرها .

ومــن خلال القراءة الموسّــعة في كتــب : التاريخ، والمعاجم الجغرافيــة، والطبقات، والأدب، لم أجد لمصــطلح (مخلاف) سَــيْرُورة وحضوراً في الحجاز حتى حدود اليمن، بــل وجدت أنّ المفــردات الدّالة على التنظيمــات والتجمعات الســكانية مثل (مدينة) و

(قريــة) و (عمــل) و (ولاية) و (ناحية) و (أعراض) و (منبر) وغيرها أكثر حضــوراً ورســوخاً . ولذلك فإن إضافة البلدان إلى مصــطلح (مخلاف) في البلدان التابعة لمكة (مخاليف مكة النجدية والتهامية) لا يُمَثّل أصــالة واضــحة المعالم، فما ورد عنها عند الجغرافيين والمؤرّخين لا يعدو عن مجرّد ســياقة أســماء البلدان مضــافة إلى مصطلح (مخلاف)، حتى ياقوت؛ فهو لا يُطيل عند ذكره لأي مخلاف من مخاليف الطائف، بل اختفت بعض أســماء هذه المخاليف في أغلب المعاجم الجغرافية وغيرها . وهذا الوضــع يختلــف عن (المخاليــف اليمنية) التي تُمَثِّل أصــالة لغوية وتنظيميــة - في حدود اليمن المعاصر - وهي مؤصّــلة عند الهَمْدَاني، وياقوت وإسماعيل الأكوع، والحجري وغيرهم، من حيث تحديد المكان وذكر السّكّان، مع استمرار وجودها حتى الآن .

٢- إدارة القبائل :

تُمَثّل القبيلة في بلاد السروات، ومنها سراة عَنْز بن وائل بقاعدتها جُرَش، ما يمكن تســميته (الوحْدَة السياســية القبلية)، فلكل قبيلة مطلق الاســتقلالية في أرضــها، وتدير شؤونها بنفسها، وإن كان هناك سيادة عامة للدولة العباسية، فهي سيادة اسمية فحسب. بــل يصــل الأمر إلى اســتقلال كل فرع من فــروع القبيلة ببــلاده، أو كل قريــة أو بلدة في محيطها الصــغير، إذ نجد أن لكل قرية - في الغالب - تحصــيناتها الدّفاعية، مع تلاحم مبانيها السّــكنية . ومما يدلّ على هذا الوضع ما ذكره ابن المجاور (ق٧هـ / ١٣م)، حيث قــال عن بلاد الســروات: (وهــم قبائل وفخوذ مــن العرب ليس يحكم عليهم ســلطان بل مشائخ منهم، وفيهم بطون متفرقون) [١]. وقال: (ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم) [٢]. وقال: (وجميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضــها من بعض في الكبر والصغر، وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب، وبطن من بطون البدو في قرية، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم) [٣].

وعن نفس البلاد يقول القلقشندي (ت ٨٣١هـ) : وهي جبال شامخة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصــلة، الواحدة إلى جانب الأخرى؛ وليس لواحدة تعلق بالأخرى بــل لــكل واحدة أهل يرجــع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضــمهم مُلك مَلــك، ولا يجمعهم حكم ســلطان؛ ولا تخلو قرية منها من أشــجار وعُروش ذوات فواكه أكثرهــا العنب واللوز؛ ولها زروع أكثرها الشعير؛ ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضاقت بها الحظائر . وأهلها أهل سلامة وخير وتمسُّك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من

---

(١) تاريخ المستبصر، جـ١، ص٢٦، ص٢٧، ص٣٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

يمر بهم، ويضـيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم. وإذا ذبحوا لضـيفهم شاة، قدموا له جميع لحمها ورأسـها وأكارعها وكبدها وقلبها وكرشـها، فيأكل ويحمل معه ما يحمل . ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفُره، لوقوع العداوة بينهم) [١].

ونعود بعد هذا الإجمال عن الحالة السياسة في بلاد السروات إلى تلمس بعض الأحداث التي تتعلق بجرش – بلاد رفيدة – بشكل مباشر، وتدلّ على الوحدة السياسية القبليّة . ومن هذه الأحداث – في القرن الثاني الهجري – رحيل أحمد بن يزَيد بن عمرو بن نابت القشيبي العوسـجي مـن صـعدة إلى جُرَش، ونزل في تندحـة، وكانت من أحواز جُرَش التي تسـيطر عليها قبيلة عَنْز بن وائل، فوقعت الحرب بينه وبين عَنْز، وانتصـر عليهم، وسـكن ومن معه في جُرَش، وأصـبحت جُرَش مناصـفة بينه وبين عَنْز، كما يقول الهمداني[٢]. وقد كان هذا الحدث في سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م) [٣]، أي في بداية العصر العباسي. وقد استمر هذا الوجود الحميري العوسجي المرتبط بالصراعات المستمرة، والتي انتهت بخروج العواسج من جُرَش في نهاية القرن الخامس الهجري[٤]. ونخرج من هذا الحدثٍ بعدة نتائج، من أبرزها : (أ) وجود النظام القبلي الذي يمثل السـيادة على الأرض، ممثلاً في قبيلة عَنْز، صـاحبة مدينة جُرَش، وعدم ذكر أي ولاية عباسية عليها حينذاك، وربما كان عدم ذكرها كولاية أن الدولة العباسـية كانت مشـغولة بتأسـيس الدولة، وتثبيت أركانها. (ب) تدل الصراعات القبلية التي رافقت القدوم العوسـجي واسـتمرارها، وظهور أسماء عدة قبائل منها (نهد، وزُبيد، وجنب) إلى استحكام العصبية القبلية، كما كانت في العصر الجاهلي. (ج) استمرار عداء القبائل المجاورة لقبيلة عَنْز بن وائل، فها هو محمد بن إبراهيم العوسـجي يُحشّـد القبائل ضد عَنْز، وهو من أهل القرن الرابع الهجري، فيقول :

وكيـف تـرى عَنْـز خضـوعي وذلـتي   ونَـهْـدٌ وجَـنْـبٌ جيرتـي وأقـاربـي[٥]

(د) سكان جرش ومحيطها قبيلة رُفيدة، وهي أحد الفروع الثلاثة لعنـز (عسير، أراشة، رفيدة) . وهذا يدل على أن هذا الحدث يمثل الحالة السياسية لبلاد رفيدة حينذاك .

ونمضي مع حدث آخر يتعلق ببلاد رفيدة مباشرة، ففي سنة (٤٥١هـ) خرج القاسم ومحمد ابنا محمد بن جعفر بن القاسـم العَيَّاني من بلاد صـعدة، وهما يقصـدان تَرْج بأعالي بيشـة، فقد ذكر هذه الرحلة مفرح بن أحمد الرّبعي في كتابه (سـيرة الأميرين

---

(١) صبح الأعشى، جـ٥، ص٣٨ .
(٢) الإكليل، جـ٢، ص١٣٩ .
(٣) قصة الأدب في اليمن، أحمد محمد الشامي، ص٢٦٠ .
(٤) في سراة غامد وزهران، حمد الجاسر، ص٤٩ .
(٥) الإكليل، جـ٢، ص١٤٤. تاريخ اليمن الفكري، أحمد الشامي، جـ١، ص٢٨٥.

الجليلين) وأشار إلى مرورهم ببلاد سنحان، وبلاد عبيدة من جَنْب، حتى دخلوا بلاد عَنْز بن وائل، واستضافهم البَذّاخ، وهو رجل من جذيمة من عَنْز بن وائل. ثم قال الربعي: اسْتَصْحبَ لنا رجلاً رُفَيْدياً من عَنْز[1]. وهو يعني أن يكون هذا الرّفيدي مرافقاً لهم لحمايتهم حتى يخرجوا من نطاق أرض قبيلته، وهي كالخفارة في العصر الجاهلي. وهذا يدل على الوحدة السياسية القبلية في بلاد رُفَيْدة، التي تُعد من أجزاء سراة عَنْز بن وائل، ولم يذكر الربعي ولاية عباسية على جُرَش.

وفي سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) ذهب مشايخ من جَنْب، وخثعم إلى الإمام أحمد بن سليمان في صعدة، وذكروا له رجلاً من عَنْز يقال له عرفطة بن الطحل وأنّه قطع طريق الحاج، وسألوه المخرج إليه لقتاله، فهمّ بالمخرج معهم إلى بلاد عَنْز، إلاّ أن خولان سألوه التوقف لانشغالهم بالزرائع وغيرها، ولم يحصل الخروج[2]. ويدلّ هذا الحدث على عدم وجود ولاية عباسية في بلاد عَنْز وقاعدتها جُرَش، وأنّ قبيلة عَنْز تدير بلادها بنفسها كوحدة سياسية قبلية، ومثلها (سراة جَنْب) المجاورة لها من الجنوب.

وفي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) ذهب الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ إلى بلاد عَنْز وبلاد بني شريف، واستنصرهم على الأشراف بني حمزة في صعدة، فأعانوه بنحو ثلاثمئة فارس[3]. وفي سنة (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) استنصر عز الدين محمد بن حاتم بن الحسين بعَنْز وبغيرها من القبائل[4]. وفي هذين الحدثين دلالة على هيمنة النظام القبلي في بلاد عَنْز - ومنها رُفَيْدة - وعدم وجود ولاية عباسية. وفي نهاية القرن السادس الهجري حصلت الحرب بين نهد[5] وأحلافها من جَنْب، وصُدَاء، وبلحارث من جهة، وبين عَنْز وشهران من جهة، وذلك في موضع يقال له (الحزم)[6] وانتصرت عَنْز وشهران على نَهْد وأحلافها، وعلى أثر ذلك انتقل الكثير من فروع نهد إلى حضرموت، فقد بدأ ذكرهم في حضرموت في سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)[7]، أو سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م)[8]. وهذا يؤكّد على الوحدة السياسية القبلية، إذ لا نجد أي ذكر لولاية سياسية في هذا الحدث، الذي اقتصر على ذكر القبائل المشاركة في الحرب، ومنها عَنْز.

---

(١) ص١١٩.
(٢) سيرة الإمام أحمد بن سليمان، سليمان الثقفي، ص٩٩.
(٣) غاية الأماني، يحيى بن الحسين، جـ١، ص٤٠٧.
(٤) السمط الغالي الثمن، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي، ص١٧٩.
(٥) كانت مساكن نهد في جهات تثليث.
(٦) هو موضع في شمال مركز خيبر الجنوب في محافظة خميس مشيط.
(٧) تاريخ حضرموت، شنبل، ص٧٤.
(٨) جواهر تاريخ الأحقاف، محمد علي باحنان، جـ١، ص١٠٤.

ويختفي ذكر مدينة جُرش منذ القرن السابع الهجري من المصادر التاريخية، ولكن المكان يحتفظ بسكانه من قبيلة (رُفَيْدَة) العَنْزية، وهو ما ذكرته سابقاً تحت عنوان (المسار التاريخي لقبيلة عَنْز بن وائل)، وإذا أضفنا ما ذكره ابن المجاور (ق٧هـ / ق١٣م)، والقلقشندي (ق٩هـ / ق ١٥م) [١] حيث قالا بأن بلاد السروات ذات سيادة مستقلة تحت حكم مشايخها على مستوى القبيلة، أو القرى، ومنها سراة عَنْز؛ فإنّ هذا يعني استمرار النظام القبلي لبلاد رفيدة. ومما يُضاف إلى الإشارات السابقة انتقال عبد الله المؤيدي، وهو أحد الأئمة الزيدية، من اليمن إلى بلدة (ذهبان) في بلاد شهران[٢] لاجئاً في كنف الشيخ مُرَيّع بن مانع بن ناصر بن الحفارص، وأقام هناك من سنة (٩٩٤هـ حتى سنة ١٠٠٦هـ)، ووصل إليه في مكان إقامته بعض مشايخ (رُفَيْدة) كما يقول ابنه مدون هذه السيرة[٣]. وهذا يدل على وجود قبيلة رُفَيْدة كقبيلة مستقلة، شأنها في ذلك الحين شأن قبيلة شهران، وقبيلة بني مغيد، وقد ورد ذكرهما في سيرة المؤيدي؛ و هذه القبائل تعيش حينذاك في ظل النظام القبلي، ولم يتم ذكر أي ولاية لأي دولة على هذه البلاد. وقد استرسلت في الحديث بما يخرج عن النطاق الزمني للعصر العباسي، لأن هذا الاسترسال يدور تحت العنوان السابق (إدارة القبائل)، ومن هنا أنتقل إلى الدولة العثمانية، ثم الدولة السعودية.

و- العصر العثماني (٦٨٧ - ١٣٤٣هـ / ١٢٨٩-١٩٢٤م)) :

ليس لبلاد رُفَيْدة أي ذكر - حسب علمي - في العصر العثماني[٤] حتى سنة (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، وهي السنة التي استولى فيها العثمانيون على عسير، وأصبحت تحمل اسم (متصرفية عسير) خلال المدة (١٢٨٩ — ١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م). وعن الحكم العثماني في عسير قال متصرف عسير (سليمان شفيق باشا): (في الواقع أن الدولة لم تصنع في بلاد عسير شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالي بين حين وآخر، ولم تفكر قط في إيجاد أسباب العمران لإحياء هذه الجهات، ولم تتذرع بشيء من ورائه نفع للأهالي، وليس لها برنامج يسير عليه رجالها وموظفوها الذين يأتون إلى هذه البلاد وهم لم يستطيعوا فهم الأمور التي يحتاج إليها الشعب، ولم يدرسوا أسباب ثورة الأهالي وتمردهم على الدولة، ولم يستطيعوا أن يقرروا الأمن، بل تركوا الناس وشأنهم يحارب بعضهم بعضاً والحكومة واقفة تتفرج عليهم)[٥]. وكانت بلاد رُفَيْدة من

(١) سبق إيراد قولهما آنفاً.
(٢) أحد أحياء مدينة خميس مشيط.
(٣) التحفة العنبرية، ورقة ٣٢٣.
(٤) لم أذكر الأحداث في سنة ١٢٣٢هـ وما بعدها لأنها لا تفيد شيئاً بسبب عدم توطد الحكم العثماني في عسير.
(٥) مذكرات سليمان شفيق باشا، ص١١٩.

ضمن متصرفية عسير، وقد ذكرها سليمان شفيق في مواضع من مذكراته، وزار موقع (جُرَش) ولم يذكرها بهذا الاسم، إلاّ أنّه أثبت اسم جبل (حمومة) (١).

وقال أحمد راشد (من قادة العثمانيين الذي وصل إلى عسير سنة ١٢٨٧هـ) : (إن مضافات عسير قائمة – أيضاً – على بعض الجبال المتسلسلة المذكورة، وفي أرض تهامة . فالأماكن القائمة في الجبال هي : السقا، الباحة الخضراء، أبها، قحطان، شهران، رفيدة، وفيها قبائل كثيرة، وقرى عديدة كبيرة، ومعظم هذه الوديان يقال لها: ديار عنز، كما يقال لها أرض طود، أرض جرش) (٢).

ويتضح من كلام سليمان شفيق أن بلاد رفيدة وغيرها تعيش في إطار النظام القبلي فعلياً، وفي ظل الدولة العثمانية إسمياً . ويؤكد ذلك الدكتور غيثان بن جريس بقوله : (كانت فلسفة الحكم العثماني تقوم على أساس ترك الأمور في الولايات على ما هي عليه، دون تدخل جوهري من جانب الحكومة في حياة الناس، على أن يكون ذلك في إطار التبعية للسلطان العثماني . وهذا ما نعبر عنه بسطحية الحكم العثماني، فهو لم يتغلغل في الأمور الداخلية، وإنما اكتفى بوضع حاميات للدفاع عن البلاد ونشر الأمن فيها . وربما في بعض الأحيان ترك الأمن للقوى المحلية، أما عدا ذلك فقد ترك الأمر لأهل البلاد ولحكامها من ولاة يعينهم السلطان أو من شيوخ وأعيان أو أمراء يتصدون لعلاج مشكلات بلادهم) (٣).

ز- الدولة السعودية (١٢١٣ – ١٤٣٩هـ/١٧٩٨-٢٠١٨م) :

تمثل رحلة غَشّام بن عامر (٤) إلى الدرعية سنة (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) تقريباً، أول اتصال لبلاد رُفَيْدَة بالدولة السعودية الأولى، في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وكان ذلك متوافقاً مع رحلة محمد بن عامر أبو نقطة (٥)، الذي قام بأمر الدولة السعودية الأولى في منطقة عسير (٦). وكان الوضع في بلاد رُفَيْدَة – كحال القبائل الأخرى المجاورة – من حيث الاستقلال القبلي، إذ استمرت إدارة القبائل تحت رعاية مشايخ القبائل، مع الولاء للدولة السعودية . وجرت بعد ذلك الكثير من الأحداث في منطقة عسير، التي أدّت إلى اضطراب الأمور في سائر أنحاء المنطقة، ولم تحصل أي ترتيبات إدارية، فبقي الحال كما هو عليه من سيادة النظام القبلي . وبعد ضم منطقة عسير سنة

(١) الصفحات : ٩٢، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ وغيرها .
(٢) الحملة العثمانية على عسير، ص١٥٧ .
(٣) صفحات من تاريخ عسير، ص٢٣٦ .
(٤) شيخ رفيدة، وهو من أسرة آل سالم، من قبيلة ذُعَي من رُفَيْدَة .
(٥) وهو من المتاحمة، من قبيلة ربيعة ورُفَيْدَة، من عسير .
(٦) تاريخ عسير، هاشم النعمي، ص١٣٤ . دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير، أحمد آل فائع، ص١٢٩ . عسير خلال قرنين، عبد المنعم الجميعي، ص٦ .

(١٣٣٨هـ/١٩١٩م) إلى الدولة السعودية الثالثة دخلت المنطقة – ومن ضمنها بلاد رُفَيْدة – في نظام دولة المؤسسات، وأصبحت أحد رُفَيْدة أحد المراكز الإدارية للدولة، وسُمّي المشرف عليها (رئيس دورية) سنة (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م)، ثم أصبحت بمسمى (إمارة) سنة (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ثم (محافظة أحد رُفَيْدة) منذ سنة (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) .

٢ـ وقفه مع الوُجُود الحِمْيَري في جُرَش

أـ مصطلح (اليَمَن) الجغرافي :

لا بُدّ أن أضع بين يدي ((الوجود الحمْيَري في جُرَش)) إلمامة تتعلق بمصطلح (اليمن) ومدى التوسع أو الوجود اليمني خارجَ نطاق اليمن المعاصر. يقول الدكتور يوسف محمد عبد الله :((الجزيرة العربية في نظر الكثير من الجغرافيين العرب تمتد من نهر الفرات شمالاً حتى البحر العربي جنوباً، وتأييد ذلك أن الصحراء العربية تَضْريس طبيعي يمتد من الربع الخالي عبر الدهناء والنفود، ويشمل بادية الشام، بل إنّ المظَاهر الطبيعية من جبال وصحارى وغيرها في شمال الجزيرة هو امتداد طبيعي لجنوبها . وإذا ما أخذ بالقول السابق من أن الجزيرة العربية تمتد من الفرات إلى البحر العربي فإنه من اليسير أن يفهم تصور العرب قديما لشمال جزيرتهم وجنوبها على وجه الإجمال فينعتون شمالها بالشام وجنوبها باليمن، ولكنهم يختلفون في تثبيت حدود الشمال والجنوب، وذلك لعدم وجود حاجز طبيعي يفصلها بصورة واضحة ويصلح أن يتخذ حداً، كما أن شقة الخلاف حول هذه الحدود توسعت بسبب الأقوال التي حرصت قديماً وحديثاً على اعتبار سوريا وفلسطين ولبنان وغيرها ليست ضمن الجزيرة العربية بحكم تفردها بخصائص حضارات مستقرة تختلف عن النمط المعيشي البدوي الغالب على الجزيرة العربية. وفاتهم أن اليمن بالنسبة للجزيرة العربية لها أيضاً سماتها الحضارية المستقرة الخاصة ولكن ذلك لا يعني أنها لا تدخل ضمن الجزيرة العربية . ولما كانت لفظتا الشام واليمن بمعنى الشمال والجنوب واسعتي المدلول وهما في الأصل تدلان على الجهة فإن استعمالهما للدلالة على تسمية أرض معينة أو مكان محدد لم يكن شائعاً في التاريخ العربي القديم)) [(١)] .

ويدل كلام الدكتور يوسف محمد عبد الله على استعمال مصطلحي (الشام) و(اليمن) للتعبير عن الجهة، أي جهة الشام، وجهة اليمن، مثلهما مثل الشرق والغرب، ولا أدلّ على ذلك ما يجري تطبيقه على الواقع، فأهل اليمن المعاصر يقولون لجهة الشَّمَال: الشام . وكانت صعدة تسمى الشام عند من يسكن جنوبها، بل أصبحت تسمى ضمن التقسيم الإداري لليمن المعاصر : لواء الشام، ثم ألغيت هذه التسمية . وأهل صعدة ومن حولهم يسمّون بلاد عسير : الشام، وهذا ثابت في كتبهم، ومنها : (١) سيرة الإمام

(١) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ص١٨٦ .

أحمد بن سليمان، لمؤلفه سليمان الثقفي، ص١٠٠.(٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، لمؤلفه يحيى بن القاسم، جـ١، ص٤٠٧ . وأهل رجال ألمع بمنطقة عسير يجعلون بلادهم في قسمين، أحدهما ألمع الشام، والآخر ألمع اليمن . وفي بلاد رجال الحَجْر بمنطقة عسير أيضاً، يقولون : بنو عمرو الشام، وبنو عمرو اليمن. وفي منطقة مكة (نخلة الشامية) و (نخلة اليمانية) ويسمّى أحد أركان الكعبة : الركن اليماني . وكل ما مضى من المواضع التي يقال فيها (الشام) أو (اليمن) لا يعني إلاّ مصطلح الجهة (الشَّمَال والجنوب)، ولا يقصد به أي سيادة لهذا أو ذاك .ومما يتعلق بذلك في تحديد مصطلح (القِبْلَة) فهو عند أهل البلاد الواقعة إلى الجنوب من مكة حتى عدن بمعنى الشَّمَال، وأهلَ الشام يقولون (القِبلَة) وهو بمعنى (الجنوب) .

ونخلص من ذلك إلى أنّ الدول اليمنية التي تكونت في محيط اليمن المعاصر، لم تبسط سيادتها على كامل التراب اليمني المعاصر منفردة، (وفي القرنين الثاني والأول قبل الميلاد أصبح في اليمن خمس دول في آن واحد، وهي: سبأ، وقتبان، ومعين، وحضرموت، وحمِّير)[1] . فهل تمكنت إحدى هذه الدول – ولا سيما حمير – من بسط سيادتها على جبال السروات في صعدة وشمالها حتى قرب الطائف ؟ وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنّ ملوك حمير والتبابعة لم يكونوا يتجاوزون اليمن إلاّ أن يغيروا على البلاد ثم يرجعون إلى دار ملكهم[2] .

ومما يؤكد عدم السيادة الكاملة حتى في نطاق اليمن المعاصر ما ذكرته — آنفاً — من تعاصر خمس دول يمنية في آن واحد، وأضيفُ إلى ذلك مواقع سيادة هذه الدول، فدولة معين في منطقة جوف اليمن إلى الشمال الغربي من مأرب، وامتدت دولة قتبان إلى سواحل المحيط الهندي واتخذت من مدينة تمنع على وادي بيحان حاضرة لها، وإلى الشرق من دولة قتبان ظهرت دولة حضرموت بعاصمتها شَبْوة، ولعل دولة سبأ (٨٥٠ق.م — ١١٥ق.م) ودولة حمير (١١٥ق.م — ٥٢٥م) من الدول التي حكمت أجزاء كبيرة من اليمن المعاصر[3] . أمّا التوسع خارج حدود اليمن المعاصر فقد ارتبط بتاريخ بعض ملوك حمير، سواء من خلال حروبهم مع بعض قبائل وسط الجزيرة العربية، أم حملاتهم في الحجاز، إلاّ أن الملاحظ على ذلك هو عودتهم إلى بلادهم دون أن يتركوا أي أثر من حضارتهم في البلاد التي غزوها، إضافة إلى امتزاج تاريخ هذه الأحداث بالأساطير التي أساءت إلى التاريخ الحقيقي .

---

(١) أوراق في تاريخ اليمن، د. يوسف محمد عبد الله، ص٣٢١ .

(٢) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص٤٨٧ . تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص٢٤٥ . تاريخ الطبري، جـ٢، ص٩٦ .

(٣) اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، ص٥٨ . التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، ص٦٥ .

ولعل أهم ما يشير إلى عدم سيادة هذه الدول ولا سيما بعد سنة (٥٢٥م) خروج أبرهة إلى الحجاز لهدم الكعبة، فقد حاربته القبائل العربية في جميع المناطق التي مرّ بها، وقد حاربته بكونها وحدات سياسية قبلية مستقلة ثم جاء الإسلام فتوافد زعماء القبائل العربية، حتى من داخل اليمن المعاصر، بصفتهم السياسية القبلية على قبائلهم وبلادهم، فلم نجد أي ذكر لدولة أو ملك في المناطق الواقعة ما بين مكة وبين حدود اليمن المعاصر . واستمر وضع السيادة القبلية في السروات من الطائف حتى حدود اليمن المعاصر، عدا بعض الحواضر ومُدن القوافل على طرق الحج والتجارة، التي تتبع ولاية مكة والطائف، ثم استقر الوضع الإداري السعودي في ثلاث مناطق إدارية هي (الباحة، عسير، نجران) مع احتفاظ القبائل - في الغالب - بزعماتها القبلية وبلادها .

ب ـ الوجود الحِمْيَري في جُرَش :

يرتبط الوجود الحِمْيَري في جُرَش بحَدَثَيْن، هما: (١) مرور أسعد بن كُليكَرب على جُرَش، حيث ترك بها جَمْعاً ممن كان صحبه[١]، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي[٢]. (٢) في سنة (١٣٤هـ/٧٥١م) رحل بعض العواسج من (حيدان) في غربي صعدة إلى جُرَش، وكان زعيمهم أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيبي العوسجي، ونزل بهم في تندحة، وكانت من أحواز جُرَش التي تسيطر عليها قبيلة عَنْز بن وائل، فوقعت الحرب بينه وبين عَنْز، واستعان بأحلافه من نهد وزبيد وغيرهم، فانتصر على عَنْز وسكن جُرَش[٣].

(*) **الحدث الأول :** تحدثت بعض المصادر عن الوجود الحميري الأول في جُرش، ومن ذلك ما ذكره البكري – نقلاً عن الهمداني[٤]، - حيث قال: " قال الهمداني : مر تبع أسعد أبو كرب في غزوته الأولى بجرش، من أرض طود، فرأى موضعاً كثير الخير، قليل الأهل، فخلف فيه نفراً من قومه، فقالوا : بم نعيش ؟ فقال : اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها واعمروها، فسميت جُرَش "[٥]. وقال ياقوت الحموي : (بأن تُبّعاً أسعد بن كليكرَب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجُرَش، وهي إذْ ذاك خَربة، ومعدّ حالّة حواليها، فخلف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضَعْفاً، وقال : اجرَشوا ههنا أي البثوا، فسميت جُرش بذلك)[٦].

(١) معجم البلدان (جُرَش) . معجم ما استعجم، البكري، جـ٢، ص٣٧٦ .
(٢) قصة البحث عن جُرَش، محمد بن أحمد معبِّر، ص٦٣ .
(٣) الإكليل، الهمداني، جـ٢، ص١٣٩ . قصة البحث عن جرش، ص٤٢ .
(٤) لم أجد هذا القول في كتب الهمداني المطبوعة، ولعل البكري اطلع على نسخة تختلف عن المطبوع .
(٥) معجم ما استعجم، جـ٢، ص٣٧٦ .
(٦) معجم البلدان (جُرَش) .

واسم هذا الملك الحميري: أبو كرب – أب كرب – أسعد ويسمّى (تُبّع أسعد) و (تبّع الأوسط) و (أبو كربَ تبان أسعد)، واختلفوا في مدّة حكمه فقيل (٣٧٨ – ٤١٥م) و (٤٠٠ – ٤١٥م) و (٤٠٠ – ٤٢٠م) و(٤٠٠ – ٤٣٠م) (٤١٠ – ٤٣٥م) [١]. وقد حمل أطول لقب ملكي، وهو (أبكرب أسعد ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في طودم وتهامة) [٢] وهو قد أضاف إلى لقبه جملة (وأعرابها في الجبال والتهائم) [٣]. ومن الملاحظ في نص البكري، وفي لقب أبي كرب وجود كلمة (طود) و (طودم)، وهو في اللغة: (الطَّوْد: الجبل العظيم، وفي حديث عائشة تصف أباها، رضي الله عنهما: ذاك طَوْدٌ منيف، أي جبل عال) [٤]. ونحن – في منطقة عسير – نقول لسلسلة الجبال الشاهقة في عسير، التي تتجه منحدراتها إلى الغرب: (الطَّوْد). وهي التي عَنَاها الهمداني بقوله: (الدّارة، وأَبها، والحِللة، والفُتَيْحَا، فحمرة، وطَبَب، فاتانه، والمَغْوَث، فجُرُشة، فالايْداع، أوطان عسير من عَنْز، وتسمّى هذه أرض طَوْد) [٥].

وقال الشاعر:

وأصبحتُ من طود بروض تنادح نُصَاول عن أحوازها من تنزرا
نُسَاقي بها عنزاً سموما وربما شربنا بأيديهم سماماً ممقرا

وقال أبو علي الهجري: (الطَّوْد: وهو البلاد التي يقال لها السَّرَاة، وهي فيما بين الطائف وجُرَش) [٦]. فهل المراد بالطود أو (طودم) سلسلة الجبال الممتدة من شمال عدن إلى الطائف، وهو الصحيح في الواقع الجغرافي، ولا أرى أنّه يُمثّل السِّيادة للدولة الحميرية؛ فطودم الواردة في لقب أبي كرب أسعد تعني جزءاً من جبال السروات الواقعة جنوب صنعاء، إذ نجد بعض المواضع المذكورة في لقبه، وهي (سبأ، ذو ريدان، حضرموت) في أماكن متقاربة. وإذا عُدنا إلى نَصّي البكري وياقوت، فإننا لا نجد فيهما ما يدلّ على السّيادة، بل فيهما الدلالة على بقاء بعض من معه في جُرَش، بل نجد ياقوت يقول: (ومعدّ حالّة حواليها) وقال (معدّ) لأنه يرى – حسب ما نقل إليه – أن قبيلة (عَنْز بن وائل معدّيّة، بل قال في موضع من معجم البلدان: شعَاف عَنْز. وعلى ذلك فإن من تخلفوا من جيش أبي كرب أسعد، قد أقاموا في جُرَش بصفتهم الشخصية،

---

(١) المفصل، جواد علي، جـ٢، ص٥٧١. دراسات في تاريخ العرب القديم، مهران، ص٣٦١. أوراق في تاريخ اليمن القديم، يوسف عبد الله، ص٢٥٢. التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، ص٧٤.
(٢) التشريعات، النعيم، ص٧٧٥. أوراق في تاريخ اليمن، ص٢٥٢.
(٣) دراسات في تاريخ العرب القديم، مهران، ص٢٦٢.
(٤) اللسان (طود).
(٥) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٦.
(٦) التعليقات والنوادر، جـ٤، ص١٦٧٥، ص١٨٤٨.

لا بكونهم حامية أو مؤسسة حكومية تابعة للدولة الحميرية، وقد تناسلوا هناك، وهم الذين جاء الإسلام في السنة العاشرة للهجرة، وهم من أهلها، ولذلك قال شاعر من الأزد ممن حضر مع صرد بن عبد الله الأزدي فتح جُرش :

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحُمُرُ
حتى أتَيْنَا حُمَيْراً في مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت له النُّذُرُ[1]

(*) **الحدث الثاني :**

وهو يمثل الوجود الحمْيَري الثاني في جُرَش، ففي سنة (١٣٤هـ/٧٥١م) رحل أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيبي العوسجي[2]، من بلد (حيدان) بالقرب من صعدة، ونزل في تندحة، وكانت من أحواز جُرَش، فوقعت الحرب بينه وبين قبيلة عَنْز بن وائل، واستنجد بنَهْد وزبيد وغيرهم، وتغلب على عَنْز، وسكن في جُرَش، هو وأهل بيته، وبعض أفراد قبيلته عوسجة الصغرى[3]. ولا يمثل هذا الوجود أي سيادة سياسية حميرية، فالدولة الحميرية قد انتهت منذ القرن السادس الميلادي سنة (٥٢٥م)، وقد استمر النزاع بين قبيلة عَنْز وبين العواسج طوال أربعة قرون. ويؤكد الهمداني عَنْزية جُرَش بقوله : (جرش، هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عَنْز، ويسكنها العواسج من أشراف حمْيَر)[4]. وقال بأن القرية – جُرَش – بينهم مُناصفة، أي بين العواسج وعَنْز[5]. ومما يدلّ على وجود النزاع قول الشاعر محمد بن إبراهيم العوسجي – وكان معاصراً للهمداني– :

وكيف ترى عَنْز خضوعي وذلّتي ... ونَهْدٌ وجَنْبٌ جِيرتي وأقاربي

وانتهى النزاع بخروج العواسج من جُرَش في نهاية القرن الخامس الهجري[6]. ولا يعني هذا خروج العواسج كافة، إذ لا بُدّ أن لهم بقية، كما أن للحميريين من الوجود الأول بقية أيضاً. ونخرج من الحديث عن الوجود الحمْيَري الطارئ – الأول والثاني – في جُرَش إلى أصالة الوجود العَنْزي مُمثلاً في قبيلةَ رُفَيْدَة، فقد تحدثتُ في المسار التّاريخي لقبيلة عَنْز عن وجودها في سراتها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، وتأكّد

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ٤، ص١٧٣ .
(٢) العواسج من نسل ذي مقار بن مالك بن زيد بن سدد، وينتهي إلى حمْيَر بن سبأ ابن يشجب . (دراسات في أنساب قبائل اليمن، أحمد حسين شرف الدين، ص٨٩) .السيرةَ النبوية .
(٣) الإكليل، جـ٢، ص١٣٩ . قصة البحث عن جُرَش، ص٥٢ .
(٤) صفة جزيرة العرب، ص٢٥٥ .
(٥) الإكليل، جـ٢، ص١٣٩ .
(٦) في سراة غامد وزهران، حمد الجاسر، ص٤٩ .

ذلك بنتائج التحليل الجيني لقبائل رُفَيْدَة المعاصـرة، الذي يعود إلى تحوّر عَنْز بن وائل (FGC 14297) . ويبقى السـؤال عن الحمْيَريين في الوجودين الأول والثاني، ولا سـيما مـن بقي منهم في جُرَش ومحيطها ؟؟ فكَما نعلم أنهم كانوا في جُرَش حين تم فتحها في السنة العاشرة للهجرة، وكذلك وجودهم في جُرَش منذ القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرنِ الخامس. ولا بُدّ أنه حصلت بعض المصاهرات بينهم وبين أهل جُرَش سكان البلاد أصـلاً . ولا نُغْفل مشاركة بعضهم في الفتوحات الإسـلامية في عهد الخلافة الراشدة . فأين من بقي مَن الحميريين في هذه الأنحاء ؟ ولا سيما أنّ وجودهم الأول كان بين عامي (٤١٥ – ٤٣٥م) وهـي المـدة التقريبية لحكم الملك الحميري أبي كرب أسـعد، وفُتحت جُرَش في السـنة العاشرة للهجرة (٦٣١م) وكانت حمْير من سكانها، ثم حصل الوجود الثاني في القرن الثاني للهجرة حتى نهاية القرن الخَامس، بما يعني أنهم تكاثروا خلال إقامتهـم بجُرَشـ في الوجود الأول لما يقرب من قرنين، وفي الوجود الثاني الذي اسـتمر لما يقرب من أربعة قرون، وليس من المعقول انقراضهم جميعاً . وهذا يحتاج إلى دراسة جادّة ودقيقة، حتى يزول هذا الغموض .

سادساً: خاتمة القول:

نشكر الأستاذ محمد بن معبِّر على هذا السرد والتفصيلات التاريخية والحضارية عـن الأصـول التاريخية لبلاد رفيدة وسـكانها. وأقـول إن هذه البلاد ومـا جاورها من سـروات قحطان وعسـير مازالت تحتاج إلى دراسـات أعمق وأطول، ونأمل من أساتذة التاريخ في جامعاتنا السعودية وكذلك الأثريين أن يبذلوا بعض الجهود الجادة في دراسة هذه البلاد السروية العربية الماجدة.